الفصل الخامس

عاقبة التقوى

obeikandl.com

obeikandl.com

ولما كانت التقوى ملاك كل خير، جعل الله - عز ذكره - العاقبة في الدين والدنيا والآخرة للتقوى والمتقين. وهذا حصر لهذه الآيات المشيرة لذلك الموضحة له تمهيداً لتفسيرها وتحليلها:

آيات ثمرة التقوى في الدنيا:

١. ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٢. ﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

٣. ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤. ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢].

٥. ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النمل: ٥٣].

٦. ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [فصلت: ١٧-١٨].

٧. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٨. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

عاقبة التقوى في الآخرة:

١. ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ

وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

٢. ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [المائدة: ٦٥].

٣. ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

٤. ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

٥. ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: ٥٦-٥٧].

٦. ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

٧. ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النحل: ٣٠-٣١].

٨. ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧٢].

٩. ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

١٠. ﴿ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٥].

١١. ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

١٢. ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الطور: ١٧-١٩].

١٣. ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥].

١٤. ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

عاقبة التقوى على دين المؤمن:

فإذا كان للتقوى عاقبتها الحسنة للمتقين في آخرتهم، فإن لها كذلك العاقبة الحسنة على دين المرء، ليزداد بذلك قرباً إلى الله ، وبصيرة بدينه. وهذه هى الآيات التي تشير إلى ذلك:

١. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٢. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

[الأنفال: ٢٩].

٣. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ﴾ [الحاقة: ٤٨].

٤. ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [البقرة: ١-٢].

٥. ﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦ ﴾ [البقرة: ٦٦].

٦. ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقبل البدء في تحليل الآيات وتفسيرها لابد من النظر في آيات أخرى - لم نذكرها فيما سبق - تتعلق بأهم عواقب التقوى وثمرها، والتي تظهر بوضوح أهمية التقوى، لأنها تتعلق بالله وما يقبل به على المتقين، وفيما يغدق عليه من محبته، ويشملهم بمعيته وولايته، وهذه هي:

١. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

٢. ﴿ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤].

٣. ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

٤. ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

٥. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [النحل: ١٢٨].

٦. ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩].

وهذا أوان وقت الشروع في المقصود، ونبدأ بذكر المحبة، أى محبة الله للمتقين، إذ هى الثمرة العظمى للتقوى، والغاية التي انتهى إليها المؤمنون، وقبل الخوض في حديث المحبة فإننا نذكر بأننا سنورد زبدة كلام معظم من تكلم في موضوع المحبة، وليس هذا خروجاً عن الموضوع، بل هو لب الموضوع، وجوهر البحث.

لقد انقسم الناس في إثبات محبة الرب لعبده أو محبة العبد لربه. فمنهم[1] من أثبت ذلك، إذ لله تعالى أهلٌ يحبهم ويحبونه، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحاب إليها، وهى حقيقة «لا إله إلا الله». وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها، فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وبره وإحسانه أتم نصيب.

وعكس هؤلاء - وهم الجهمية المعطلة - فعندهم أنه - سبحانه - لا يُحِب ولا يُحَب. ولما لم يمكنهم تكذيب النصوص أوّلوا محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته والازدياد من الأعمال لينالوا بها الثواب، وكذلك أوّلوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب، وربما أوّلوها بثنائه عليهم ومدحه لهم.

وجميع طرق الأدلة - عقلاً ونقلاً وفطرةً وقياساً واعتباراً وذوقاً ووجداً - تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده.

أما أدلة القرآن الكريم على المحبة فأولها: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فأخبر - سبحانه - أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، وهذا ندٌّ في المحبة، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، وفى تقدير الآية قولان:

أحدهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من أصحاب الأنداد لأندادهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

الثانى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها.

---

(1) انظر: الإمام محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية «مدارج السالكين»، (٣/ ٦) وما بعدها.

وأما الدليل الثانى فقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهى التي تسمى آية المحبة. يقول الإمام ابن القيم: «قال أبو سليمان الدارانى: لما ادعت القلوب محبة الله أنزل الله لها محنة ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾».(١)

وهذه الآية الكريمة ردت على مدعى محبة الله تعالى، الذين إذا نصحت أحدهم باتباع السنة أو التزام ظواهر الشرع ادعى بأن قلبه عامر بينه وبين الله تعالى، مع أن طريق المحبة الحقيقية لله تعالى هى التزام سنة النبى ﷺ، فقوله تعالى: ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية. ولذلك رد الله على من ادعى أنه حبيب الله بقوله: ﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة: ١٨].

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [المائدة: ٥٤].

أوضحت الآية الكريمة أن هناك قوماً يحبهم - سبحانه - ويحبونه، هم الذين يأتى بهم - جل وعلا - في الوقت الذي ينكص فيه على عقبه أقوام ما استشعروا محبة الله، فارتدوا عن دينه، إذ العناية محض فضل الله ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾.

فأثبتت الآية الكريمة محبة الله تعالى، وأنها سابقة لهم على محبتهم، إذ بها أحبوا ربهم وأقبلوا عليه، وضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيله - سبحانه وتعالى.

---

(1) الإمام ابن القيم «مدارج السالكين»، (٣/ ٢٢).

ثم ذكر لهم – سبحانه – أربع علامات: أنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، أى رحماء أرقاء مشفقين على بعضهم البعض، في الوقت الذي هم فيه أشداء البأس على الكافرين. ولعل وجه الربط بين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وبين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أنه لما كان المؤمنون محبوبين من الله تعالى أحبوهم، فكان من آثار المحبة الذلة للمحبوب، ولما كان الكفار مبغوضين منه – سبحانه – أبغضوهم، وظهر ذلك في الشدة عليهم، وتلك من أوصاف المحبين.

وأما الوصف الثالث، وهو من أوضح أدلة المحبة، فهو كونهم يجاهدون في سبيل الله، يبذلون أموالهم وأنفسهم ويفتدون محبوبهم بكل ما يملكون، وإلا كانت المحبة ناقصة.

أما العلامة الرابعة: فهى أنهم لا يخافون لومة لائم في محبتهم لربهم.

والقرآن الكريم مملوٌّ من ذكر من يحبه الله – سبحانه – من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم، كقوله – سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، و﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤].

ولقائل أن يقول في الآيات السابقة التي ذكرت: وردت محبة الله تعالى لموصوفين بصفات أخرى غير التقوى، فلم تكن محبة الله مقصورة إذن على المتقين، فليس ثم مزية زائدة لهم أو فضل.

والجواب: أن هذه الصفات – كما ذكرنا هى صفات المتقين أنفسهم، فكأن الله – سبحانه – قد جعل محبته جزاءً لمن اتصف بشىء من صفات المتقين، وحسب التقوى شرفاً إذاً أن تكون بعض صفاتها جالبة لمحبة الله تعالى، فكيف إذا اجتمعت معظم صفاتها في بعضهم؟

والدليل: أن قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ من صفات المتقين، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦]، وكذلك قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فإنها من صفاتهم، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد جاءت السنة المشرفة بذكر ما يحب الله تعالى من الأقوال والأفعال والأشخاص، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحبَّ إلى من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه».(١)

والحديث يثبت محبة الله لمن سلك طريقها، وكذلك يبين ثمرة هذه المحبة من أن العبد بربه، يسمع و به يبصر.. الخ، مع إجابة سؤاله وإعاذته إذا ما استعاذ به.

يقول الإمام أبو حامد الغزالى، في إحياء علوم الدين: «وقال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك».(٢)

---

(1) حديث: «من عادى لى وليا..» رواه البخارى (٦٥٠٢). وانظر ابن حجر العسقلانى «فتح الباري»، (١١/ ٣٤٠-٣٤١).

(2) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى «إحياء علوم الدين»، (١٤/ ٢٦٢٦)، ط. دار الشعب.

ومصداق هذا الكلام فيما ورد في أصحاب بدر، حيث قال النبى ﷺ فيهم: «لعل الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم».[١]

ويكثر في الأحاديث قوله – عليه الصلاة والسلام: «أحب الأعمال إلى الله..» كذا وكذا؛ «أحب الأعمال إلى الله: الصلاة على وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»[٢]، وقوله: «أحب الأعمال إلى الله: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم حج مبرور»، وكقوله: «أحب الدين إلى الله: ما داوم عليه صاحبه».[٣]

تعريف المحبة:

سبق أن رأينا من أنكروا المحبة لله أو محبة الرب لعبده، وأوّلوا النصوص الواردة لذلك، ورأينا من أثبت المحبة وجعلها حقيقة الإسلام، كما ذكرنا، ومن ثم ذهبت آراءهم شتى في تعريف المحبة، خاصةً محبة الرب لعبده.

وإن كان الإمام ابن القيم، في كتابه مدارج السالكين، يرى أنها: «لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من (المحبة)».[٤]

ثم قال: «وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها

---

(1) رواه البخارى (٣٠٠٧)، وانظر ابن حجر «فتح البارى»، (٦/ ١٤٣).

(2) رواه البخارى (٥٢٧). وانظر ابن حجر العسقلانى «فتح الباري»، (٢/ ٩). ورواه مسلم (٨٥). وانظر النووى «شرح صحيح مسلم»، (١/ ٣٥٠-٣٥١).

(3) الحديث رواه البخارى (٤٣)، وانظر ابن حجر «فتح البارى»، (١/ ١٠١).

(4) الإمام ابن القيم «مدارج السالكين»، (٣/ ١٠). وانظر الإمام الغزالى «إحياء علوم الدين»، مجلد٤، (١٤/ ٢٥٧٤) وما بعدها، حيث أفاض حجة الإسلام في شرح ذلك على ما ذهب إليه في بحث طويل. وذكره في الشفا عند الكلام على محبة الرسول ﷺ القاضى عياض اليحصبى، (١/ ٤٣) وما بعدها.

وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة». [١]

وآن لنا أن نذكر الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى.

أسعد الناس حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى، ودرك سعادة لقائه، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوق وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ولا مكدر، ومن غير رقيب ومزاحم، ومن غير خوف انقطاع، إلا إن هذا النعيم على قدر قوة الحب، فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة. [٢]

ولحجة الإسلام كلام قوى ونفيس في الأسباب المقوية لمحبة الله تعالى ينبغى مطالعته، نلخص عيونه، مع التذكر الدائم أن كل ذلك إنما هو متحقق في صفات المتقين، كل ذلك لهم.

يقول الإمام أبو حامد الغزالى ما ملخصه: إن أصل المحبة لا ينفك عنه مؤمن، لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة. أى لابد أن توجد محبة لله تعالى يصح بها الإيمان، وإلا فإن الإنسان يظل كافراً بالله العظيم، أما قوة المحبة واستيلاؤها فذلك ينفك عنه الأكثرون، وإنما يحصل ذلك بشيئين:

أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب.

وكمال الحب في أن يحب الله ﷻ بكل قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره.

فأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب، قوة حب الدنيا، ومنه حب

---

(1) الإمام ابن القيم «مدارج السالكين»، (٣/ ١٠).

(2) انظر الغزالى «إحياء علوم الدين»، (١٤/ ٢٦٠٦ وما بعدها.

الأهل والمال والولد والأقارب، والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات، وكل ذلك متعرض لنقصان حب الله بسببه.

وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد، وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء.

فما ذكر من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة، وهو تخلية القلب عن غير الله، وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر، والجنة والنار، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما، ثم يبحر ذلك إلى الزهد في الدنيا، وفى المال والجاه، وكل حظوظ الدنيا، حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله، حتى يتسع بعده لنـزول معرفة الله وحبه، فكل ذلك من مقدمات تطهير القلب، وهو أحد ركنى المحبة، وإليه الإشارة بقوله – عليه الصلاة والسلام: «الطهور شطر الإيمان».[1]

الثانى: قوة معرفة الله تعالى واتساعها، واستيلائها على القلب، وهو يجرى مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش.

ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة - ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد قطع شواغل الدنيا من القلب - إلا الفكر الصافى، والذكر الدائم، والجد البالغ في الطلب، والنظر المستمر في الله تعالى وصفاته، وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته.

ونشير إلى مجمل ما يترتب على محبة الله للمتقين، لنختم به هذا الموجز من عاقبة التقوى، وبه يعرف العبد أنه حبيب الله من ذلك. وعلامته أن الله تعالى يُوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره، ويجعل له واعظاً من نفسه، وزاجراً من

---

(1) رواه مسلم، من حديث أبى مالك الأشعرى (٢٢٣).

قلبه، يأمره وينهاه، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ.[١]

وكذلك إذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه، وإنما عدوه نفسه وشهواته. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٥].

من هذه العلامات محبة لقاء الحبيب في دار السلام، فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه. قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[٢]، وقال حذيفة ﷺ عند الموت: «حبيبٌ جاء على فاقة». وقد شرط الله – سبحانه – لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله، حيث قالوا: إنا نحب الله، فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف: ٤]، وقال معها: ﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١].

ومنها – أى علامات المحبة – أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم مشاق العمل، ويجتنب اتباع الهوى، ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله، ومتقرباً إليه بالنوافل، وطالباً عنده مزيد الدرجات.

ومنها – أى علامات المحبة – دوام ذكره لله تعالى، لا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره.

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا ينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن

---

(1) روى أبو منصور الديلمى في «مسند الفردوس» من حديث أم سلمة بإسناد حسن عن النبى ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من نفسه.. الحديث». وانظر تخريج الإحياء، (١٤/ ٢٦٢٩).

(2) متفق عليه، من حديث أبى هريرة وعائشة ﷺ. سبق تخريجه.

كان يحب القرآن فهو يحب الله ﷻ، وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله».

ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق.

ومنها ألا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله ﷻ ويعظم تأسفه على كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة.

ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها، بل يسقط عنه تعبها، وقال الجنيد[1]: علامة المحب دوام النشاط والدؤوب بشهوة، يفتر بدنه ولا يفتر قلبه.

ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله، رحيماً بهم، شديداً على جميع أعداء الله، وعلى كل من يقترف شيئاً مما يكرهه، كما قال – سبحانه وتعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولا تأخذه لومة لائم، ولا يصرفه عن الغضب لله صارف، وبذلك وصف الله تعالى أحباءه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥].

هذه بعض علامات المحبة، اختصرناها – كما وعدنا في بداية الكلام – من أقوال أهل العلم.

ننتقل إلى المسألة التالية من ثمرات التقوى وعاقبتها، وهى معية الله تعالى للمتقين.

ومعية الله للمتقين من أعظم المواهب والمنن والعطايا التي تحفل بها هذه اللفظة، إذ من كان الله معه فمن يكون عليه؟ وقبل النظر في معنى هذه المعية المباركة نشير إلى:

---

(1) الجنيد سيد الطائفة.

أولاً: أن هذه المعية للمتقين جاءت في أربعة مواضع من القرآن الكريم، ثلاثة منها بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، والموضع الرابع بقوله – جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾.

ثانياً: نلاحظ أن المواضع الثلاثة الأولى كانت جميعها في قتال الكفار ورد الاعتداء، فالآية الأولى هي قوله – سبحانه وتعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤]. والثانية: قوله – تباركت أسماؤه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، والموضع الثالث قوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

أما المواضع الرابع والأخير فعلى عكس ما سبق، فإنه يحض على الصبر وترك المعاقبة. قال – جل شأنه: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨].

ثالثاً: رأينا المواضع الثلاثة في الأمر بالقتال ورد الاعتداء تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، مع زيادة في آية البقرة – وهي الأولى – بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾.

أما الموضع الرابع وهو تفضيل الصبر وترك المعاقبة، فهي تختم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، وزادت قوله: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾.

ونبدأ في النظر في تفسير تلك المواضع بعون الله تعالى.

بداية نقول: إن المعية في كتاب الله تعالى على نوعين:

الأولى: معية عامة، وهى أن الله مع كل أحد، ولا يخفى عليه شىء في السموات ولا في الأرض، ولا في السر ولا أخفى، وهذه المعية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة: ٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.[(١)] وهى مما نؤمن بها كما جاءت.

أما الذي يهمنا هنا فهو ما يترتب على هذه المعية من آثار. يقول الحافظ ابن رجب في شرح جامع العلوم والحكم: «فإن هذه المعية تقتضى علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم».[(٢)]

أما المعية الأخرى –وهى التي يطلق عليها المعية الخاصة –فهي المذكورة في قوله تعالى في قصة الغار حال هجرة النبى ﷺ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وذلك لما قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه للنبى ﷺ : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وقد قال له المصطفى ﷺ رداً على ذلك: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».[(٣)]

وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وكذلك قوله – جل شأنه – عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وهذه المعية الخاصة تقتضى النصر والتأييد والحفظ والإعانة.

---

(1) انظر الحافظ إسماعيل بن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (جـ٤).

(2) انظر الحافظ ابن رجب الحنبلى «جامع العلوم والحكم»، (١/ ٤٧١).

(3) الحديث رواه البخارى (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

نعود إلى الآيات وتحليلها مرة أخرى.

ونلاحظ أن الآيات الثلاث الأولى بدأت بقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾، وفيه إشارة إلى أنه لا حاجة إلى النظر وإعمال الفكر، فهى مقطوع بوجودها على وجه لا يقبل الاحتمال، والعلم بذلك يقينى.

وتفيد هذه الكلمة من ثم الاهتمام بما تتضمنه الجملة، وحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أو طلب فهم بـ«اعلم» أو «تعلم» لفتاً للذهن.

وفى التعبير بـ«اعلم»[(١)] تعريض غالباً بغفلة المخاطب عن أمر مهم، فمن المعروف أن المخبر أو الطالب ما يريد إلا علم المخاطب، فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام. من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨ ﴾ [المائدة: ٩٨].[(٢)]

وكأن هؤلاء المتقين قد ساورهم هاجس الضعف أو التردد أمام عدوهم الأكثر عدداً وعدة، وغفلوا عن عوامل النصر المؤكد، وهو كون الله تعالى مع المتقين، فتأتى ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ لتثبِّت أقدامهم بعد أخذهم كذلك بكافة الأسباب المادية المطلوبة.

---

(١) وقوله: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ ...﴾. وفى الحديث أن النبى ﷺ قال لأبى مسعود الأنصارى: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)، لما رآه يضرب غلاماً له. وقد يفتتحون بـ«تعلم» أو «تعلمن». قال زهير:

قلت تعلم أن للصيد غرة   وإلا تضيعها فإنك قاتله

و«أن» بعد هذا الفعل مفتوحة الهمزة حيثما وقعت، والمصدر المؤول يسد مسد مفعولى «علم» مع إفادة «أن» للتأكيد.

(٢) انظر لما سبق الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٩/ ٣١٤).

ونلاحظ في الآية الأولى – آية البقرة – أن ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ مسبوقة بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.

ولها مناسبة حسنة، وهى أن الله ﷻ لما أمر برد الاعتداء بالمثل، قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، حيث لا يؤمن على المرء أن يزيد في اعتدائه، خاصة وقد تمكن من عدوه، فجاء التوجيه القرآنى بالأمر ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، حتى لا يجوروا ولا يعتدوا في حقهم وقصاصهم.

وقد تدفع النفس المرء في مثل هذه الظروف إلى أن يكسر عدوه، حتى لا تقوم له قائمة، خشية أن يعاوده القتال، وأن يتجهز له بما يبيد شأفته، وأنه يمكن ألا يستطيع بعد ذلك له رداً ولا دفعاً، فجاء قوله: «واعلموا» ليزيل هذه الغفلة بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، فمتى لزموا حدود الله وأقاموا أوامره وانتهوا عن نواهيه وكانت تقوى الله شعارهم ودثارهم، فلا يخافوا حينئذ أحداً، ولا يهابوا الدنيا بأسرها، لأن مالكها ومصرفها معهم – سبحانه وتعالى.

ومن الجدير تسجيله هنا أن ذكر المتقين في هذه الآيات، عند رد الاعتداء، أو مقاتلة المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة، أو مقاتلة الكفار والإغلاظ لهم ممن يلي المسلمين، مؤذن بضرورة القتال بنية صحيحة حسنة، لا رياء فيها ولا سمعة، ولا طلب مغنم عاجل أو ثناؤ فارغ، أو غير ذلك من النوايا التي لا تليق بالتقوى وأهلها.

قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: «ثم قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ لينبه على أن يكون الحامل على القتال ووجود الغلظة إنما هو تقوى الله تعالى، ومن اتقى الله كان الله معه بالنصر والتأييد، ولا يقصد بقتاله الغنيمة ولا الفخر ولا إظهار البسالة».(١)

---

(1) انظر أبا حيان الغرناطى «البحر المحيط»، (٥/ ١١٥). والدكتور/ محمد أديب الصالح «التقوى»، (١/ ٢٨٦) ما قبلها وما بعدها.

أما آية النحل، وهى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾، فهى كما نرى مؤكدة بحرف التوكيد لتأكيد معية الله – جل شأنه – مع الذين اتقوا، وهى مناسبة كل المناسبة لما قبلها من الآيات، حيث أمر الله المؤمنين بأن يعاقبوا بمثل ما عوقبوا به، وأن الصبر وترك المعاقبة خير، بهذا التعبير الجميل، فالصبر وترك المعاقبة من أعمال التقوى، فلم يكونوا بحاجة إلى تنبيههم إلى معية الله للمتقين، إذ هم ما فعلوا، بل ما يفعل ذلك إلا الأتقياء، فكان التأكيد على معية الله لأولئك الذين اتقوا هو المناسب.

ونلاحظ أن الآية زادت: ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾، وهو من عطف الخاص على العام، تنبيهاً على ميزة الخاص والاهتمام به في هذا المكان وهذا السياق، وهو ما يتسق أشد الاتساق مع ما سبق من الآيات، فلما حضهم على الصبر وترك المعاقبة، وهو عفو وإعراض، فإن الدرجة الأعلى من درجات المتقين – والتي طالما نبه على وجودها فيهم – هى درجة الإحسان، فأكد على معية الله لمن هو أعلى من الصابرين، حضاً لأهل التقوى على ألا ينسوا أهم صفاتهم، وهى الإحسان، ولو لمن أساء إليهم، فإن ذلك أجمل في هدايته، ورجوعه عن غيه وظلمه، وهو من مقاصد الشرع الذي لا تقوى عليه إلا قلوب أهل التقوى فعجل لهم هذه العاقبة، مع ما ينتظرهم من ظفرهم وفوزهم في الآخرة.

العاقبة التالية لما ذكرنا من المحبة والمعية للمتقين هى الولاية.

بمعنى أن المؤمنين متى ما تحققت فيهم تقوى الله تعالى صاروا أولياءه – جل وعلا، وصار هو – سبحانه – وليهم، والولاية من أعظم ما يتطلع إليه المرء المؤمن، ولفهم ذلك ومعرفته نطالع هذه الآيات الكريمات التي اشتملت على ولاية الله تعالى للمتقين، وعلى حسن عاقبة ذلك وعظيم مآله. هذه الآيات هى:

الآية الأولى: قوله – سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ

يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٤].

الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩].

ونبدأ بالآية الثانية، لأنها بينت أن المتقين هم أولياء الله تعالى، وزادت فأثبتت ما لهم عند الله تعالى من عظيم الأجر.

وأول ما يصادفنا في الآية أنها عرفت الأولياء، وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون، والإيمان شرط لصحة أى عمل، فأوضحت الآية أن الأولياء هم المتقون، وينبغى ألا يغيب عن الذهن أن التقوى درجات، والولاية من أعظم ثمرات التقوى، ومن ثم فإن الأولياء في المنـزلة العليا من التقوى، وأن الأولياء – الذين هم في الدرجة العليا – هم خلاصة المؤمنين الصادقين، وزبدة الطائعين المخلصين.

وقد افتتحت الآية بـ﴿ أَلَآ ﴾، وهى أداة التنبيه، إيماءً إلى أهمية شأن هذا الكلام ليكون التنبيه حاثاً لهم على التفكر في هذا الكلام، ثم العمل بمقتضاه، ليفوزوا بالبشريات التي حملتها الآية لهم.

والأولياء جمع «ولى»، وهو المُوَالى، أى: المحالف والمناصر، وكلها ترجع إلى معنى الوَلْى «بسكون اللام»، وهو القرب، وهو مجاز في معنى الوَلِى، وهو قرب من الجانبين، وعلى ذلك يكون تفسيره: الذي يتولى الله تعالى بالطاعة، ويتولاه الله تعالى بالكرامة.[1] يقول الطاهر بن عاشور في كتابه «التحرير والتنوير» ما

(1) يقول القاضى عبد الحق بن غالب بن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز»، (٣/ ١٢٨): «وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطى ظاهرها أن

ملخصه: وقد بين أولياء الله في هذا الآية بأنهم الذين آمنوا واتقوا، فاسم الموصول وصلته خبر، وما بينهما اعتراض، أو يجعل جملة ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾، ويجعل اسم الموصول خبر مبتدأ محذوف حذفاً جارياً على الاستعمال. كما سماه السكاكى في حذف المسند إليه. وأياً ما كان، فهذا الخبر يفيد أن يعرف السامع كنه معنى ﴿ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ اعتناءً بهم.[١]

وأما قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ فيبين:

أولاً: أن التقوى ملازمة لهم أخذاً من صيغة ﴿ كَانُواْ ﴾، وأن التقوى متجددة منهم، بما يدل عليه المضارع في قوله ﴿ يَتَّقُونَ ﴾، ومن ثم كانت الآية الكريمة الأساس الذي يبين حقيقة الولى شرعاً، إذ لما كانت الولاية هى الغاية القصوى التي ترنو إليها أفئدة المؤمنين وجوارحهم، فلا شك أنها لا تحصل إلا بملازمة التقوى وتجددها في كل حين، أى هى حية في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وعباداتهم ومعاملاتهم في الظاهر والباطن، لا ينفكون عنها، ولذا لا يمكن القول عن شخص إنه ولى لله تعالى وهو غير ملازم للتقوى، فضلاً عن الوقوع في المعاصى، فضلاً عن سقوط التكليف إذا بلغوا اليقين، كما يزعم بعض الصوفية.

=

من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله، وهذا النص تقتضيه الشريعة في الولى، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من بعض الوصفية، وبعض الملحدين في الولي». يقول أبوحيان في تفسيره «البحر المحيط» موضحاً هذا القول: «وإنما قال حذراً من بعض الصوفيه (صحة اللفظ)، لأن بعضهم نقل عنه أن الولى أفضل من النبى، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم. ولابن العربى الطائى كلام في الولى وغيره نعوذ بالله منه». أبوحيان «البحر المحيط»، (٦/ ٨١).

(1) الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (١١/ ٢١٨).

ثانياً: أن اختيار لفظ التقوى في هذا السياق اختيار قرآنى دقيق، فبدلاً من «المحسنين» مثلاً أو غير ذلك من صفات المؤمنين كان اختيار التقوى للولاية، ليبين – سبحانه – أن الأولياء ملازمون لأوامر الشرع ومنتهون بنواهيه، وأنهم كذلك تاركون للمكروهات، محافظون على المستحبات، متجنبون للشبهات، يتركون ما لا بأس به حذراً مما به بأس، مع تمام المحافظة على ذلك.

والجدير بالإضافة – لما سبق – هو الإشارة إلى الحديث القدسى الخاص بالولى، لأنه بوضعه مع الآية الكريمة تتضح حقيقة الولاية. ولفظ الحديث، وهو عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، وإن استعاذنى أعذته، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره إساءته».

بدأ الحديث بذكر صنيع الله للولى، وإحسان المولى – سبحانه وتعالى – إليه، وذلك بقوله أنه يعلن بالحرب من حارب ولياً لله تعالى أو عاداه، وكفى الأولياء بذلك شرفاً ومفخرة في الأولى والآخرة، وكفى من يحاربه الله بذلك ذلاً وخزياً وهواناً وانكساراً في الأولى والآخرة إذا لم يتوبوا ويطلبوا الصفح من أولياءه – سبحانه. وهذا ينبهنا إلى احترام أولياءه، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم والتي أنزلهموها مولاهم – جل وعلا[1] – والتحسب لذلك أشد التحسب.

ونختصر شيئاً مما ذكره الإمام محمد بن على الشوكانى عن الولى، فقد أفرد

(1) ويستثنى ما إذا كانت الحال تقتضى نزاعاً بين وليين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض، كما جرى بين أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما. انظر ابن حجر «فتح البارى شرح صحيح البخارى»، (١١/ ٣٤٢)، ط. السلفية.

obeikandi.com

حديث الولى بالشرح في مصنف مستقل. يقول ما ملخصه: فأولياء الله هم خلص عباده، القائمون بطاعته، المخلصون له. وأفضل الأولياء هم أنبياء الله، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وأفضل أولى العزم هو نبينا محمد ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، فجعل – سبحانه – صدق محبة الله ﷻ متوقفة على اتباعه، وجعل اتباعه سبب حصول المحبة من الله – سبحانه.

ثم ينقل عن الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في «طبقات الأولياء» قوله – من كتابه «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» – ما حاصله أن أولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون وأبرار أصحاب يمين مقتصدون.

ولكن الأولياء غير معصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم صاروا في رتبة رفيعة ومنـزلة علية، فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب أو ينافى الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله، كما يجوز أن يخطئ المجتهد وهو مأجور على خطئه حسب الحديث: «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر». وقد تجاوز الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان.

وهذا يعود بنا إلى آية الولاية التي معنا، لنستكمل النظر فيما أعد الله تعالى من الكرامة لأوليائه المتقين، حيث يقول – جل شأنه: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾، وذلك بعد البشارة الاعتراضية في الآية، وهى قوله: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

يقول الإمام ابن جرير، في قوله تعالى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: «ألا إن أنصار الله لا خوفٌ عليهم في الآخرة من عقاب الله؛ لأن

الله رضى عليهم فآمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا».
وبمثل ذلك قال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم.[١]

وهذا إيجاز لطيف لفهم الآيات والأساليب القرآنية، ولكن المحققين والمهتمين بالأسلوب العربى للقرآن الكريم زادوا في البحث عن هذا التفسير.

يقول الفخر الرازى في «التفسير الكبير»:

«قال بعض المحققين: إن نفى الحزن والخوف إما أن يحصل للأولياء حال كونهم في الدنيا، أو حال انتقالهم إلى الآخرة.

والأول باطل من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا لا يحصل في دار الدنيا، لأنها دار خوف وحزن، والمؤمن خصوصاً لا يخلو من ذلك، على ما قاله الرسول ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وعلى ما قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

والوجه الثانى: أن المؤمن - وإن صفا عيشه في الدنيا - لا يخلو من هم بأمر الآخرة شديد، وحزن على ما يفوته من القيام بطاعة الله تعالى.

وإذا بطل هذا القسم وجب حمل قوله تعالى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على أمر الآخرة، فهذا كلام محقق».[٢]

ولكن العلامة أبا السعود، في «إرشاد العقل السليم»، ونقله بنصه عنه في «روح المعاني» العلامة محمود الألوسى، يقرر نفس الأدلة، ولكن النتيجة أن ذلك لهم في الدارين، يقول - رحمه الله تعالى:

---

(1) الإمام محمد بن جرير الطبرى «جامع البيان في تفسير القرآن»، (١١/ ٩١). وانظر الإمام إسماعيل بن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٢/ ٤٢٢).

(2) فخر الدين محمد بن عمر الرازى «التفسير الكبير»، (٨/ ٤٠١-٤٠٢).

obeikandi.com

«لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ من فوات مطلوب، أى: لا يعتريهم ما يوجب ذلك، لا أنه يعتريهم، لكنهم لا يخافون ولا يحزنون، ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً، بل يستمرون على النشاط والسرور، كيف لا واستشعار الخوف والخشية لجلال الله - سبحانه - وهيبته، واستقصاراً للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين. والمراد بيان دوام انتقائهما، لا بيان انتفاء دوامهما، كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً، لما مر مراراً من أن النفى - وإن دخل على نفس المضارع - يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام، وإنما لا يعتريهم ذلك؛ لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله، ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريب في حصوله، ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى.

وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية بين الحصول والفوات، فهى بمعزل عن الانتظام في سلك مقصدهم وجوداً أو عدماً، حتى يخافوا من حصول ضارها، أو يحزنوا بفوات نافعها»[1].

ويتوسط العلامة الطاهر بن عاشور في كتابه «التحرير والتنوير»، ليجمع بين الأقاويل، ويبعد عن التأويلات البعيدة؛ حلاً لما رأى من التفسيرات التي لا تلائم العربية - من وجهة نظره - فيقول - رحمه الله - ما حاصله: والخوف توقع حصول المكروه للمتوقع، فيتعدى بنفسه، فيقال: خاف الشيء، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾، وإذا كان توقع حصول المكروه للغير يقال: خاف عليه، كقوله: ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقد اقتضى نظم الكلام القرآنى نفى جنس الخوف - لأن «لا» نافية للجنس

---

(1) العلامة أبو السعود «إرشاد العقل السليم»، (٢/ ٥٠٩). والعلامة محمود الألوسى «روح المعانى»، مجلد٧)، (١١/ ٢١٤-٢١٥).

- هنا، وقد دخلت على النكرة، فمعنى ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أنهم بحيث لا يخاف عليهم خائف[1]؛ لأن الخوف - وهو مصدر في الآية - يقدر مضافاً إلى فاعله، وهو غيرهم لا محالة، أى: هم بمأمن من أن يصيبهم مكروه يخاف من إصابة مثله، فهم -وإن كانوا يهجس في نفوسهم الخوف- جبلة، لكن غيرهم ممن يعلم حالهم لا يخاف عليهم؛ لأنه ينظر إلى الأحوال نظراً سليماً من التأثر بالمظاهر. وهم أنفسهم إذا اعتراهم الخوف لا يلبث أن ينقشع، وتحل محله السكينة، كما قال تعالى: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧]. وكان النبى ﷺ يوم بدر يدعو الله بالنصر، ويكثر من الدعاء، ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعد اليوم»، ثم خرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾.[2]

وهذا المعنى تغير الأسلوب في قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ عن قوله: ﴿ لَا خَوْفٌ ﴾، فأسند فيه الحزن المنفى إلى ضمير ﴿ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ مع الابتداء به، وإيراد الفعل بعده مسنداً مفيداً تقوى الحكم، لأن الحزن هو انكسار النفس من حصول أثر المكروه عندها، ولا يوجد إلا بعد حصول حقيقته، ثم هم وإن كانوا يحزنون كقول النبى ﷺ: «وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون»، فذلك حزن وجدانى

---

(1) قال العلامة محمود الألوسى في «روح المعاني»، مجلد٧، (١١/ ٢١٥): «ذهب بعض الجلة إلى أنه - الخوف - مسند إلى غيرهم، أى غيرهم لا يخاف عليهم، ولا يلزم من ذلك أنهم لا يخافون، ليجيء حديث لزوم الأمن، أى لو لم يخافوا لأمنوا، وهو منفى كذلك عنهم، وجعل ذلك نكتة اختلاف أسلوب الجملتين». إلى أن قال: «والأوجه عندى ما نقل عن بعض الجلة من أن معنى ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: لا يخاف عليهم».

(2) حديث قصة بدر، انظر المباركفورى «الرحيق المختوم»، (ص٢٤٢).

لا يستقر، بل يزول بالصبر، ولكنهم لا يلحقهم الحزن الدائم، وهو حزن المذلة، وغلبة العدو عليهم، وزوال دينهم وسلطانهم، والمعنى لا يحصل لهم حزن دائم متمكن ثابت يبقى فيهم، ولا يحدث له تخلصاً.

أما بقية ما ذكرته الآيات من كرامات المتقين الأولياء، فهو قوله ﷻ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

والبشرى تعريف الجنس، فهو صادق ببشارات كثيرة، والبشارة خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه، والمعنى: أنهم يبشرون بخيرات قبل حصولها: في الدنيا بما يتكرر من البشارات الواردة في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وفى الآخرة بما يتلقوه من الملائكة، حيث يتلقونه ويسلمون عليهم كما ذكر الله تعالى، ويسمعونهم كلام الله بالأمر بهم إلى النعيم المقيم، كقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥].(١)

ويحسن بنا أن نذكر تفصيل هذا الكلام، حيث فصل أهل التفسير في هذه البشارات. وقد جمع الرازى أقوال هذا التفسير، ثم ذكر أن ما كان متعلقاً من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾. وسنزيد من كلام غيره ما يكون توضيحاً لهذه الأوجه.

الوجه الأول: أن البشرى هى الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو تُرى له. قال ﷺ: «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، وعنه: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». ومن ثم إذا حملنا قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ على الرؤيا الصادقة، فظاهر هذا أنها لا تكون إلا للأولياء المتقين، والعقل يدل عليه

---

(١) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (١١/ ٢١٩).

أيضاً، وذلك لأن ولى الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله، ومن كان كذلك فلا يبقى عند النوم في روحه إلا معرفة الله، ومعلومٌ أن معرفة الله ونور جلاله لا يفيده إلا الحق والصدق، أما من يكون متوزع الفكر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم، فإذا نام يبقى كذلك، فلا جرم لا اعتماد على رؤياه، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ على سبيل الحصر والتخصيص.

الثاني: أنها عبارة عن محبة الناس له، وعن ذكرهم إياه بالثناء الحسن؛ عن أبى ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إن الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه به، فقال رسول الله ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن».(١)

واعلم أن المباحث العقلية تقوى هذا المعنى، وذلك أن الكمال محبوب لذاته، ومن اتصف بصفته من صفات الكمال، صار محبوباً لكل أحد، ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله، مستغرق اللسان بذكره، مستغرق الجوارح بعبوديته، فإذا ظهر عليه أمر من هذا الباب صارت الألسنة جارية بمدحه، والقلوب مجبولة على حبه.

الثالث: بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالرحمة والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، وفى حديث البراء ﷺ أن المؤمن إذا حضره ا لموت، جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: اخرجى أيتها الروح الطيبة، إلى روحٍ وريحانٍ وربٍ راضٍ غير غضبان، فتخرج من فمه كما تخرج القطرة من فم السقاء.

وأما بشراهم في الآخرة فأمنهم من الفزع، وسلام الملائكة عليهم: قال

(١) الحديث رواه مسلم.

تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وسلام الله عليهم: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨]، ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وكقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد: ١٢].

ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله في هذا الكتاب الكريم من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرأونه فيها من الأحوال السارة.

الرابع: أن ذلك عبارة عما بشر الله عباده المتقين - في كتابه وعلى ألسنة رسله - من جنته وكريم ثوابه، ودليله قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة: ٢١].

وختمت الآيات بقوله ﷻ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٤]. وجملة ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ مبينة لمعنى تأكيد الوعد الذي تضمنه قوله ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾، تذكيراً لهم بأن ما وعدهم الله به من البشائر -مثل النصر و حسن العاقبة - أمر ثابت لا يتخلف؛ لأنه من كلمات الله التي هى الأقوال التي أوحى الله بها إلى رسوله ﷺ في الوعد المشار إليه، والتي لا تغيير لها ولا إبطال.

وجملة ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ مؤكدة لجملة ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾، ومقررة لمضمونها، فلذلك فصلت ولم تعطف. والإشارة بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى المذكور من مضمون الجمل المتقدمة. وذكر ضمير الفصل ﴿ هُوَ ﴾ بعده؛ لزيادة التأكيد ولإفادة القصر، أى: هو الفوز العظيم لا غيره ما يتقلب فيه المشركون في الحياة الدنيا من الرزق والمنعة والقوة؛ لأن ذلك لا يعد فوزاً، إذ عاقبته المذلة والإهانة

في الدنيا، وبعده العذاب الخالد في الآخرة، كما أشار إليه قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٩٧ ﴾ [آل عمران: ١٩٧].(١)

ونعود إلى الآيتين الباقيتين في ولاية المتقين لله تعالى، وهما ذواتا نسب أصيل بما مر بنا، لنربط بينهم على وجه السرعة.

أولاً: قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

وهذه الآية الكريمة تؤكد بما سبق من أن أولياء الله ليسوا إلا المتقين، بهذا الأسلوب من أساليب القصر، الذي يقصر ولاية الله تعالى على أهل التقوى، لا غيرهم. يقول الزمخشري في «الكشاف»: «﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ من المسلمين، ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح أن يلي أمره، إنما يستأهل ولايته من كان براً تقياً».(٢)

فلا طريق إذاً لهذه الدرجات العلا من الولاية، مع ما يترتب على ذلك من الثواب والأجر إلا التقوى، لينغلق الباب بذلك على الأدعياء.

ولابد من الإشارة إلى أن الآية لها معنى آخر، وهو ولاية البيت الحرام، إذ سياق الآية في هذا المعنى بقوله تعالى عن المشركين: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا

---

(١) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (١١/ ٢٢٥). وانظر لما سبق التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازى، (٨/ ٤٠٣-٤٠٥). والحافظ ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٢/ ٤٢٢-٤٢٤). وابن جرير الطبرى «جامع البيان»، مجلد٧، (١١/ ٩١-٩٧). وجار الله محمود الزمخشرى «الكشاف»، (٢/ ١٩٥-١٩٦). والعلامة أبو السعود «إرشاد العقل السليم»، (٢/ ٥٠٨-٥١٢). والعلامة محمود الألوسى «روح المعانى»، (٧/ ٢١٤-٢٢٢).

(٢) جار الله محمود الزمخشرى «الكشاف»، (٢/ ١٢٥).

obeikandi.com

ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وذلك حين قال المشركون ما قالوا من أنهم أولياء البيت الحرام، يُدخلون من شاءوا ويمنعون من شاءوا، فرد عليهم القرآن بذمهم بأن أولياءه هم المتقون، وأنتم لستم كذلك، فلا ولاية لكم عليه لشرككم وظلمكم وفسقكم، والمتقون أولياء الله وأهل طاعته، فهم أولى بولاية البيت، بل هم أولياؤه حقاً.

وإن كان هذا التفسير يعود في مآله إلى التفسير الأول، لأن ولاية المسجد الحرام لا تكون إلا تبعاً لولاية الله تعالى، لذا نفى ولاية المشركين عن المسجد الحرام، لأنهم ليسوا أولياء الله – جل وعلا.

والآية الثالثة والأخيرة هى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، وبهذا التقرير وذلك الفصل حسم القرآن الكريم قضية ولاية الله للمتقين، فذكر بهذا الأسلوب الذي لا ريب فيه ولا تردد أن الله ولى المتقين لا يتولى أحداً غيرهم، وهو ما يبينه السياق، إذ تقول الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فوضحت وأشارت إلى أكثر من معنى.

الأول: وهو المحسوم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

الثانى: لا ولاية من الله تعالى للظالمين، فكل ولاية لغير المتقين مقطوعة.

الثالث: أن الله – جل وعلا – بذلك جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ومنع كذلك بالتالى ولاية المؤمنين لغيرهم، فضلاً عن الظالمين. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وقال – جل وعلا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ

وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨].

وهكذا بينت آيات الولاية للمتقين هذه كل ما يتعلق بموضوعها من الولاية وطريقها، وبين من تكون، وعواقبها الحسنة، وكل ذلك للمتقين.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الأول : آثار التقوى على دين المؤمن.

المطلب الثانى : عاقبة التقوى في الدنيا.

المطلب الثالث : عاقبة التقوى في الآخرة.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الأول
آثار التقوى على دين المؤمن

ذكرنا عاقبة التقوى في الآخرة والأولى، وجاء وقت الكلام عن أثرها على دين المؤمن، وزيادة يقينه، وحسن توكله على الله تعالى.

وقد أحصينا الآيات الدالة على ذلك في أول الفصل، ونبدأ بـ:

أ . التقوى والفرقان.

ب. التقوى سبب الهداية.

ج. الانتفاع بالآيات المتلوة والمشاهدة لأهل التقوى.

أ . التقوى والفرقان :

وتحته قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ونقتصر هنا على قوله تعالى: ﴿ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ حيث سيأتي الكلام على بقية الآية في موضعه.

نقل الحافظ ابن كثير وغيره[١]، عن أئمة التفاسير كابن عباس وعكرمة وغيرهم، أن معنى الفرقان هو النجاة والنصر والمخرج في الدنيا والآخرة.

فمن اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة.»[٢]

---

(١) يقول العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير»، (٩/ ٣٢٦): «الفرقان أصله مصدر كالشكران والغفران والبهتان، وهو ما يفرق أى يميز بين شيئين متشابهين، وقد أطلق بالخصوص على أنواع من التفرقة، فأطلق على النصر، لأنه يرق بين حالين كانا محتلين قبل ظهور النصر، ولقب القرآن بالفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾» ا.هـ. وانظر مختار الصحاح، مادة فرق.

(٢) ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

فالفرقان إذن من أعظم أجزية التقوى التي يهبها الله - جل وعلا - وذلك لخيرها في نفسها، ولعظم ما يترتب عليه، كما أشار الإمام ابن كثير. ويكفى المتقين أن لهم عند ارتباك الناس وتحيرهم، واشتداد ظلام الشبهات والشهوات حولهم نوراً يمشون به، يضيء لهم طريقهم، ويميز لهم الحق من الباطل، وقد فصل الإمام الرازى في ذلك تفصيلاً حسناً، ينبغى الإشارة إليه فقال - رحمه الله تعالى: «هذه القضية الشرطية شرطها شيء واحد، وهو تقوى الله تعالى.. »، إلى قوله: «وأما الجزاء المرتب على هذا الشرط فأمور ثلاثة»، نذكر الأول منها لأنه المتعلق بما نحن بصدده.

«الأمر الأول: قوله تعالى: ﴿ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾، والمعنى أنه تعالى يفرق بينكم وبين الكفار. ولما كان اللفظ مطلقاً وجب حمله على جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين والكفار. فنقول: هذا الفرقان إما أن يعتبر في أحوال الدنيا، أو في أحوال الآخرة.

أما في أحوال الدنيا: فإما أن يعتبر في أحوال القلوب، وهى الأحوال الباطنة، أو الأحوال الظاهرة.

وأما في أحوال القلوب، فأمور: أحدها: أنه تعالى يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة. وثانيهما: أنه يخص قلوبهم وصدورهم بالانشراح، كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾. وثالثهما: أنه يزيل الغل والحقد والحسد عن قلوبهم، ويزيل المكر والخداع من صدورهم، مع أن المنافق والكافر يكون قلبه مملوءاً من هذه الأحوال الخسيسة والأخلاق الذميمة.

والسبب في حصول هذه الأمور أن القلب إذا صار مشرقاً بطاعة الله تعالى زالت عنه كل هذه الظلمات، لأن معرفة الله نور، وهذه الأخلاق ظلمات، وإذا

ظهر النور فلابد من زوال الظلمة».[1]

وأما في الأحوال الظاهرة، فإن الله تعالى يخص المسلمين بالعلو والفتح والنصر والظفر، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ب. التقوى سبب الهداية: (الهداية والموعظة والتذكرة للمتقين)

من عواقب التقوى على دين المرء أن تكون سبباً لهدايته، ولما كانت الموعظة والتذكرة كذلك، لا ينتفع بها إلا المتقون. إذ هى من أسباب الهداية وتمامها. آثرت أن يكون الكلام على كل منها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في الآيات التالية، وهى قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [البقرة: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النور: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٨].

وأولى هذه الآيات الكريمات قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾، وقد ذكرنا شرحها في صفات المتقين.

وهذه الآية توضح قيمة التقوى في ثبات هداية أصحابها، وازديادهم من الهداية والنور، ومزيد انتفاعهم بآيات الله المتلوة، وأن ذلك شفاء لما في صدورهم من الشبهات والحيرة، أو من الأمراض التي تتمثل في الشهوات والأخلاق

---

(1) انظر الرازى «التفسير الكبير»، (٧/ ٤٨١-٤٨٢).

المذمومة والصفات المرذولة.

وفى نفس الوقت، فإن عدم التقوى يمنع الانتفاع بما في هذا القرآن الكريم من الهدى والنور، بل يزيد على ذلك أن يكون هذا القرآن عليهم عمى، وفي آذانهم وقر، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٤].

ج. الانتفاع بالآيات المتلوة والمشاهدة لأهل التقوى: الموعظة للمتقين:

لأنهم لا غيرهم كذلك يقبلون الموعظة، ويتأثرون بها. بل إن تأثرهم بالموعظة، وامتثالهم لها عامل من عوامل هدايتهم، وترقيهم في طريق الوصول إلى ربهم فلو قلنا: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾، فلا جرم لكونهم قبلوا المواعظ والتزموا بها، وأفادتهم بالتفكر وإمعان النظر فيها معرفة بالله تعالى، وتدبيره للكون، ولقضائه وقدره، ولأسمائه وصفاته، التي تظهر آثارها في الحياة والإنسان والكون، مما يزيد إيمانهم، وتسمو به تقواهم.

خاصةً إذا علمنا أن المواعظ إما متلوة في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ،وإما مواعظ مشاهدة، يراها المرء في نفسه وغيره من البشر، وفى الكون، والموت والحياة من حوله، تدعوه للتأثر والانفعال والمشاركة والتفكر.

وبقية الآيات الكريمات تجمع بين الموعظتين: المرئية، والمتلوة، ليكون للمتقين معينهم المستمر المتجدد من المواعظ التي تثبت أقدامهم على طريق الحق، وتمدهم بما يشرح صدورهم، وترق له قلوبهم، فيزدادون هداية، ومسارعة إلى الخير.(١)

---

(١) والموعظة مأخوذة من الوعظ والانزجار. والوعظ: التخويف، وهو ما يلين القلب، ثواباً كان أو عقاباً يحذر من لحاق ضر في العاقبة، أو التحريض على جلب نفع.. انظر

openarabic.com

فالآية الأولى: ﴿ فَجَعَلۡنَـٰهَا نَكَـٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٦]. جاءت في سياق قصة القتيل في بنى إسرائيل، وأن موسى عليه السلام أمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوه ببعضها ليعرفوا القاتل، هذه المعجزة المشهورة ختمت القصة بكونها موعظة للمتقين في كل زمان.

يقول الإمام الرازى في «التفسير الكبير»: «أما قوله: ﴿ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾، ففيه وجهان: أحدهما: أن من عرف الأمر الذي نزل بهم يتعظ به، ويخاف إن فعل مثل فعلهم أن ينـزل به مثل ما نزل بهم، وإن لم ينزل عاجلاً فلابد من أن يخاف من العقاب الآجل، الذي هو أعظم وأدوم. وأما تخصيصه المتقين بالذكر، فكمثل ما بيناه في أول السورة عند قوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾، لأنهم إذا اختصوا بالاتعاظ والانزجار والانتفاع بذلك صلح أن يخصوا به، لأنه ليس بمنفعة لغيرهم. الثانى: أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ أن يعظ المتقون بعضهم بعضاً، أى جعلناها نكالاً وليعظ به بعض المتقين بعضاً، فتكون الموعظة مضافة إلى المتقين، على معنى أنهم يتعظون بها، وهذا خاص لهم دون غير المتقين.»[1]

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. يقول الزمخشرى في «الكشاف»: «﴿ هَـٰذَا

=

القرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، (١/ ٤٤٤). والعلامة الألوسى «روح المعانى»، ، (١/ ٤٤٩). والعلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٩/ ٩٨). مختار الصحاح، مادة وعظ.

(١) محمد بن عمر الرازى «التفسير الكبير»، مجلد٢، (٣/ ١٥٧-١٥٨). وانظر الألوسى «روح المعانى»، (١/ ٤٤٩). والقرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، (١/ ٤٤٤). وصديق خان «فتح البيان»، (١/ ١٥٨).

بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من الكذب، يعنى حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم، والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم. ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعنى أنه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين، فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين».(١)

ويبين الحافظ ابن كثير أن كون المراد بالبيان: القرآن الكريم، فيقول: «ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾، يعنى: القرآن فيه بيان الأمور على جليتها، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم. ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعنى: القرآن فيه خبر ما قبلكم، وهدى لقلوبكم، وموعظة أى: زاجر عن المحارم والمآثم».(٢)

التذكرة للمتقين:

أى أن هذا القرآن الكريم هو التنبيه الذي يذكر المتقين ويُصم عنه غيرهم لذا جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وقد جاءت هذه الآية بعد إبطال طعن المشركين في القرآن بأنه قول شاعر أو كاهن، لتبين شرفه ونفعه، إمعاناً في بطلان كلامهم، بالتفرقة بينه وبين شعر الشعراء وسجع الكهان وزمزمتهم، إذ هو تذكرة ولكن للمتقين، لا سواهم.

وقد توسع العلامة بن عاشور بعض الشىء في تفسير الآية عن غيره ممن رأينا، يقول - رحمه الله تعالى - مختصراً: والتذكرة اسم مصدر التذكير، وهو التنبيه إلى مغفول عنه، والإخبار بأنه تذكرة إخبار بالمصدر للمبالغة في الوصف. والمعنى أنه مذكر للناس بما يغفلون عنه من العلم بالله، وما يليق بجلاله، لينتشلهم من هوة التمادى في الغفلة حتى يفوت الفوت، فالقرآن في ذاته تذكرة

(١) جار الله الزمخشرى «الكشاف»، (١/ ٢١٨).

(٢) الحافظ إسماعيل بن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (١/ ٤٠٨).

لمن يريد أن يتذكر، سواء تذكر أم لم يتذكر، وقد تقدم تسمية القرآن بالذكر والتذكير في آيات عديدة، منها قوله في سورة طه: ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ في سورة الحجر.

والمراد بالمتقين المؤمنون، فإنهم المتصفون بتقوى الله، لأنهم يؤمنون بالبعث والجزاء، دون المشركين. فالقرآن كان هادياً إياهم للإيمان، كما قال تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، وكلما نزل منه شيء أو تُلِيَ منه شيء ذكرهم بما علموا، لئلا تعتريهم غفلة أو نسيان. فالقرآن تذكرة للمتقين في الماضي والحال والمستقبل، فإن الإخبار عنه باسم المصدر يتحمل الأزمنة الثلاثة، إذ المصدر لا إشعار له بوقت، بخلاف الفعل. وإنما علق للمتقين بكونه تذكرة، لأن المتقين هم الذين أدركوا مزيته»(١).

وبقى عندنا موضعان. مر أحدهما في صفات المتقين، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وهو يوضح أثر التقوى، ولكونها سبباً في التذكر والرجوع إلى الله تعالى عند مس الشيطان.

أما الثاني: الباقي وهو ما نختم به عاقبة التقوى على دين المؤمن فهو قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهذه الآية الكريمة تنبئ عن أن للتقوى أثراً كبيراً في تحصيل وفهم علوم، لا يصل إلى مثل ذلك غير المتقين، مع ما يهب الله تعالى من بركة الحفظ والفهم، وتيسير سبل التعلم.

وقد وجدنا مصداق ذلك بين من يشتركون في علوم واحدة، كيف يفهم بعضهم وبسرعة ما لا يفهمه غيره مع التكرار، وكيف يطلع على أسرارٍ ومعانٍ تدق وتخفى على الكثير، وكيف يصير الصعب المستغلق عندهم سهلاً قريباً!

---

(١) العلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، ، (٢٩/ ١٤٨-١٤٩).

وإن الله تعالى يتم رحمته للمتقين، فيفيض عليهم من كرمه وجوده ما يتيسر لهم به طريق العلم والفهم، وأن من اتقى عُلِّمَ الخير وأُلْهِمَه».[(١)]

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور، في تفسيره الآية، من «التحرير والتنوير»: «أمر بالتقوى لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق. وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة ونظام العالم، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعد بدوام ذلك،لأنه جيء فيه بالمضارع. وفى عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل، وجعله بعضهم من معانى الواو، وليس بصحيح».[(٢)]

وهكذا تتبين قيمة التقوى على دين المرء، فهى تحافظ عليه وترقيه، وتزيده إيماناً، وتحفظه من كيد الشيطان، وترده إلى الحق. وهى الفرقان الذي يميز بين به الضلال من الحق، وهى سبب إفاضة العلوم عليه.

(١) ابن عطية «المحرر الوجيز»، (١/ ٣٨٥).
(٢) الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٣/ ١١٨).

المطلب الثاني
عاقبة التقوى في الدنيا

ونتكلم الآن في تحليل الآيات التي ذكر الله تعالى فيها ما أعده للمتقين في الدنيا، من جميل أثر وحسن عاقبة، ليوطن الناس أنفسهم على ذلك، وليتنافسوا فيه، خاصةً وأن موعود الله بذلك ظاهر الأثر، ملموس النتيجة، فتثبت به القلوب والأقدام، ويكون زاداً وعوناً لهم على مواصلة السير إلى الله تعالى، وأول ما نذكر من عواقب ذلك في الدنيا:

المخرج والرزق واليسر:

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

لا شك أن استقامة معيشة المرء في الدنيا، وزوال قلقه واضطرابه، يكون بتيسير أسباب رزقه، بحيث يستطيع أن يقوم على مصالح أهله وولده، آمناً في يومه، مطمئناً إن هو عاش إلى غده.

جعل الله تعالى التقوى من أعظم أسباب تحصيل الرزق الحلال المبارك فمتى حصل المرء التقوى فقد وفق لأبواب الرزق، وفتح الله عليه حسنة الدنيا على أحسن حال، وهو بعكس غير المتقين في تحصيل أرزاقهم وهم مقصرون، قائمون على معصية، لا يبالون بأى طريق حصلوا رزقهم.

وشدائد الدنيا وضيقها، ووجوه الأنكاد والآلام فيها غير منحصرة، تصيب المرء في نفسه وأهله وماله، وتكاد تسد الأبواب في وجهه، حتى تضيق عليه

الدنيا بما رحبت، ويود أن لو مات قبل حلول ما حل به، ويصل الحال بالبعض إلى أن ينهى حياته بيده هروباً من بؤسه، خروجاً من مأزقه.

وقد بين الله تعالى للمؤمنين به وبأقداره، أن تلك الامتحانات في الدنيا لها مخارج عند الله تعالى، وأنه بيده ملكوت كل شيء - سبحانه، فمن اتقاه جعل له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً. وقد حدث ذلك للأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، مما تنشرح به صدور المتقين، وتقوى هممهم وعزائمهم.

ولننظر في الآيات السابقة لنرى مصداق ذلك والدليل عليه، ولنبدأ بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾.

وهو جزء من آية جاء في سياق الكلام على الطلاق وأحكامه، وأن من يتقى الله في ذلك كله رجالاً ونساءً يجعل لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يدرون. ولكن التعبير القرآنى جاء عاماً في أن كل من يتقى الله تعالى ينتظر تلك العاقبة، وستقع له ولابد، لأن الله - سبحانه - لا يخلف وعده.

ونلاحظ أنه جاء بذكر المخرج، وهو يعنى أن المرء قد ضاقت عليه أموره واستحكمت، وأصبح يرى من حوله حائطاً مسدوداً لا مخرج منه. إذا بالتقوى تدرك صاحبها، فتفتح له باباً يخرج منه، ليعيد له روحه وحياته، ويخرجه إلى نسيم الحياة وروح العيش. تلكم التقوى.

وقد رأينا ما حدث للنبى ﷺ والصحابة من ذلك. وقصة هجرة للنبى ﷺ خير شاهد على هذا المعنى. وقد ذكر النبى ﷺ أيضاً قصة الثلاثة الذين خرجوا في يوم شات، فأووا إلى غار، فنزلت صخرة، فسدت عليهم باب الغار، حتى إذا أدركوا أنهم هلكى دعوا ربهم بسابق ما كان لهم من تقوى، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون.[1]

---

(1) الحديث رواه البخارى (٥٩٧٤). وانظر ابن حجر العسقلانى «فتح البارى»، (١٠/ ٤٠٤).

وقد أورد معظم المفسرين - كابن جرير والزمخشرى وابن كثير والألوسى وصديق
خان - قصة عوف بن مالك وابنه في نزول هذه الآية الكريمة، وهى أن ابناً لعوف بن مالك أسره المشركون، فذهب يشتكى لرسول الله ﷺ فأمره أن يتق الله ويصبر، وأن يقول هو وامرأته: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فخرج ابنه من الأسر، فإذا هو بناقة للقوم فركبها، واستاق سرح القوم، فلم يحس أبوه إلا وهو يطرق عليهم الباب، فأخبره النبى ﷺ ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾[1].

لم تكتف الآية الكريمة بذكر المخرج من الضيق بتقوى الله تعالى، بل زادت بأن الله يرزقه من حيث لا يخطر بباله، وفى ظلام المادية الدامس هذا، يحتاج الناس إلى قوة اليقين في الله تعالى وقدرته، وإلى برد التوكل عليه واللجوء إليه، حتى يثقوا في رزق الله لهم، وأنه يأتيهم من وجوه لا يعلمونها، ولم تخطر ببالهم، فتهدأ نفوسهم بركونها إلى القوى القادر، فينطلقوا في دنياهم وأخراهم بقلوبٍ لا تعرف الخوف من الغد، ولا الحزن على فوت الرزق.

والآية التالية، وهى قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ ﴾ [طه: ١٣٢]، تؤكد هذا المعنى، وهو أن يستعين المرء على خصاصته، أو ما ينـزل به بتقوى الله تعالى، ومن أهمها الصلاة يفرج الله عليه بها، ويفيض عليه من رزقه.

(1) وانظر ابن جرير الطبرى «جامع البيان»، مجلد ١٢)، (٢٨/ ٩٠). جار الله الزمخشرى «الكشاف»، (٤/ ١٠٩). وابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٤/ ٣٨٠). وصديق حسن خان «فتح البيان»، (٩/ ٤٥٩). والعلامة الألوسى «روح المعانى»، (٢٩/ ٢٠٠-٢٠١).

يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: «﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ...﴾، إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾. وروى ابن أبى حاتم عن ثابت قال: كان النبى ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله: «يا أهلاه، صلوا صلوا»، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة».[(١)]

﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ ﴾ : أى أن التقوى تجيء نهايتها عواقب خير الدنيا والآخرة، لأنه ينتظر من فضل الله تعالى لمن اتقاه الخير والمخرج، حيث وعد - سبحانه - بذلك.

وإذا كان ذلك في خاصة كل أحد، فإن الله وعد عموم الناس إن هم آمنوا واتقوا بأكثر من ذلك وأعم، وذلك قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وإن كانت الآية الكريمة في ذكر المكذبين من الأمم السابقين، إلا أن عاقبتها في عمومها باقية لكل أمة

(1) الحافظ إسماعيل بن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٣/ ١٧١). قال صديق خان: «الحديث أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما وأضاف: وعن عبد الله بن سلام: - قال السيوطى: بسند صحيح - قال: كان النبى ﷺ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة، وقرأ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ...﴾ الآية)»، صديق خان «فتح البيان»، (٦/ ١٣٣). قال العلامة الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير»: «وأمر الله ورسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله، وهو أن يصطبر على الصلاة، وهو مستعمل مجازاً في إكثاره من الصلاة في النوافل. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الآيات، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾»، الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (١٦/ ٣٤٢- ٣٤٣).

obeikandl.com

ومجتمع يتقى الله، أن تحل عليهم بركاته من السماء والأرض، فيرتفع عنهم بذلك ما هم فيه من ضيق ومحن ومصائب في اقتصادهم واجتماعهم وسياستهم وماهم، وكل ما يتعلق بكونهم مجتمعاً راقياً.

تيسير الأمور:

وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق: ٤]، والآية الكريمة - كأختها - وإن كانت واردة في أحكام الطلاق، وما يتعلق بتقوى المرء في ذلك، فهى عامة لكل متقٍ لله تعالى.

وتقدير الآية: أن من يتق الله يجعل له من أمره المتعسر عليه يسراً، فإذا كان في الآية الأولى يجعل له من كل ضيق فرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإنه ها هنا له عند الله عاقبة أخرى حسنة، فإنه إذا تعسرت أموره وتعقدت أحواله، وبات لا ينتظر في الصباح حلاً لما هو فيه، فإن في التقوى تيسير ذلك كله من حيث لا يتوقع، فيطمئن باله، وتهدأ نفسه.

وكذلك ييسر الله على المتقين كل أمر عسير يمكن أن ينـزل بهم في حال نزول الموت عليهم، وكذا ييسر لهم الطاعات، ويوفقهم إليها ويعينهم عليها.(1)

النجاة من العذاب في الدنيا:

(إذا نزل بالأمم الظالمة والمجتمعات الفاسقة الخارجة عن أمر الله تعالى المكذبة لرسله).

بين المولى - سبحانه وتعالى - أن العذاب إذا أنزله في الدنيا، فإنه ينجى - سبحانه - المتقين. قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى

(1) وانظر صديق خان «فتح البيان»، (٩/ ٤٦٣).

ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥١-٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [فصلت: ١٨].

هذه الآيات ختمت بها قصة ثمود، وقد أشرنا إلى طرف منها في فصل «التقوى دعوة الرسل»، حيث كذبوا رسولهم صالح ﵇ حينما دعاهم للإيمان والتقوى، ولجوا في طغيانهم وبغيهم وظلمهم، ولم يترجزوا بآيات الله ولا تخويف رسولهم، فأخذهم الله تعالى كما ذكرت الآيات: ﴿ دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾، فتلك بيوتهم خاوية إلى يوم الناس هذا مزاراً للمعتبرين.

وكانت النجاة نصيب أهل الإيمان والتقوى، والآية وإن تحدثت في ثمود، فإنها عامة لأهل التقوى في كل زمان ومكان.

نزول الملائكة:

مما خص به أهل التقوى نزول الملائكة لتثبيتهم والربط على قلوبهم في المواقف العصيبة، والأحوال الشديدة التي تزلزل قلوب الأبطال، وذلك قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٢٥]، ومعنى الآية أن المتحققين بصفات التقوى وأهمها الصبر، ينـزل الله عليهم الملائكة لتثبتهم وتدفع عنهم وذلك في كل وقت وفى كل مكان، وهو ما يفيده أسلوب الشرط، ومصداق ذلك ما يحدث كثيراً من أن أعداداً قليلة من المؤمنين ضعيفة العدة والسلاح هزمت قوات كبيرة، وما ذلك إلا بتأييد الملائكة.

بل قد ذكرت آيات أخر – في غزوة بدر – أن الملائكة قاتلت مع المؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ

وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وعليه فإن المسلمين لا ينقصهم - لكى يهزموا أعداءهم ويرتفع لواؤهم فتكون لهم حينئذ قيمة بين الأمم - إلا أن يرتفع لواء التقوى، وينضووا جميعاً تحته حكاماً ومحكومين، وعندئذ يكرمهم ربهم بنصره، لأنهم نصروه - سبحانه، ووعده الذي لا يخلف: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧]، ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، فلا تحزنهم لذلك قلتهم ولا ضعف عددهم، ولا يفت في عضدهم قوة عدوهم ولا كثرة سلاحهم: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].(١)

الحفظ والحراسة من الأعداء:

وهو آخر ما نختم به أثر التقوى وعاقبتها في الدنيا، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾، وهى تكملة قوله تعالى: ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ ﴾.

وإذا كان الله تعالى قد ضمن للمتقين النصر وتأييد الملائكة لهم، فإنه - سبحانه - قد بشرهم كذلك وأيدهم بحفظه من كيد أعدائهم جزاءً لهم على حسن صبرهم وعظيم تقواهم.

ولتتضح قيمة ما أعد الله - سبحانه وتعالى - للمتقين في هذه الآية الكريمة، فإنه يحسن الاطلاع سريعاً على الآيات السابقة لها، حيث صور القرآن الكريم شيئاً من أحوال المنافقين، وموقفهم من المؤمنين، وما ينبغى أن يكون موقف المتقين من هؤلاء المجرمين، ثم ختم ذلك بهذه العاقبة الحسنة.

---

(1) انظر ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (١/ ٤٠٠-٤٠١).

صور القرآن الكريم هؤلاء الأشرار بأنهم لا يقصرون في بذل أى جهد يكون خبالاً للمؤمنين، ويتمنون لهم من كل قلوبهم الأذى والمصائب، والمؤمنون طيبون حسنو النية، وقد جاء أمر الله لهم في أول الآيات بأن لا يتخذوا بطانة من هؤلاء المجرمين، لأنهم: (إن تمسسكم حسنة)، والتعبير بالمس يعنى مهما كانت قليلة مجرد مس، (تسؤهم) وتنكد عليهم عيشهم لأنهم يريدون لكم الأذى، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها.

فى هذا الخضم جاءت بشارة الله لهم بالحفظ التأييد والحراسة من أصعب فئة وأشدها ضرراً بقوله إن كيدهم ذلك كله - مع الصبر والتقوى - هباء لا يؤثر - بقوة الله وقدرته وفضله - على المؤمنين المتقين الصابرين تأثيراً يذكر.

يقول الإمام الفخر الرازى في «التفسير الكبير»: معنى الآية أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى، واتقى كل ما نهى عنه، كان في حفظ الله، فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين. وتحقيق الكلام في ذلك هو أنه - سبحانه - إنما خلق الخلق للعبودية، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فمن وفى بعهد العبودية في ذلك فالله - سبحانه - أكرم من أن لا يفى بعهد الربوبية في حفظه عن الآفات والمخالفات.(١) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق: ٢].

وهكذا تظهر آثار التقوى جلية.

---

(١) الفخر الرازى «التفسير الكبير»، (٤/ ٤٢٦).

المطلب الثالث
عاقبة التقوى في الآخرة

أما شرف أهل التقوى السامق في الآخرة - أى فيما يتعلق بأمورها - وما أعد الله لهم فيها من حسن الجزاء وجميل العاقبة، فهذا أعظم فضله عليهم وأكرم ما يسديه إليهم، إذ ليس بعد سعادتهم في الآخرة من سعادة، وليس بعد فوزهم من فوز، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومن هذه العواقب الواردة في ذلك:

أولاً: نزول الملائكة عليهم:

ذكرنا في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] أن المتقين لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة وكربها، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا من أهل ومال وولد وغيره.

وأن أمنهم هذا الذي ذكرته الآيات، وعدم خوفهم أو حزنهم، مع تلك البشارات في الدنيا بينته آيات أخرى. نقصد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فتبشيرهم بعدم الخوف وبعدم الحزن إنما تنـزلت به الملائكة لهؤلاء المتقين، وهو تنويه بشأنهم إذ ينـزل الملائكة من علوياتهم لأجلهم.

وحاصل كلام أهل العلم أن الملائكة تتنـزل عليهم في ثلاثة مواضع: في الدنيا حال الموت، وفى القبر، وعند الخروج للحساب، في كل ذلك تثبتهم

وتطمئن قلوبهم، ثم تبشرهم برحمة الله وجنته، إكمالاً لسرورهم، وتتميماً لنعيمهم، حتى يصلوا بهم إلى جنة الخلد.

الموضع الأول: أن الملائكة تتنـزل عليهم في المحشر يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أي أبشروا بالجنة، فإن ذلك يثبت كرامة لأهل التقوى.

والموضع الثاني: القبر، يثبتونهم عند السؤال، ويؤنسون وحشتهم، حيث من المقرر في عقيدة أهل السنة أن المرء يمتحن في قبره، فإن كان مؤمناً ثبته الله تعالى في الامتحان، فيجيب: ربى الله ودينى الإسلام ورسولى محمد ﷺ ، وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ذكر الإمام ابن جرير ما يؤيد هذا الكلام ويشهد له - وهو أن الله يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في قبورهم - بأحاديث كثيرة، وأشهرها حديث البراء بن عازب، يقول - رحمه الله - إن رسول الله ﷺ قال، وذكر قبض روح المؤمن، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه - يعنى في قبره - فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول دينى الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدى. قال: فذلك قول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وأما الظالمون فمصيرهم الهلاك .يقولون: لا ندرى .

أما المقام الثالث الذي تتنـزل الملائكة فيه على المؤمنين المتقين فهو عند الاحتضار، وهو موقف من أصعب المواقف على المؤمن، فضلاً عن غيره، لأن

سكرات الموت وشدته شيء لا يوصف كرباً وهولاً وألماً، حتى إن رسول الله ﷺ كان يقول عند الموت: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»[1]، علاوةً على مشاهدة صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب، مع مشاهدة العصاة مواضعهم في النار، وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم، واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين، إما: أبشر يا عدو الله بالنار، أو: أبشر يا ولى الله بالجنة.[2]

والأكثر من ذلك أن بعض أهل العلم قد ذهب إلى جواز تنـزل الملائكة على المتقين في الدنيا، علاوة على تلك المواطن الثلاثة السابقة، وذلك لأن الآية عامة شاملة لتلك المواطن وغيرها، وهذا ما ذهب إليه العلامة الألوسى وغيره، حيث يقول، في تفسيره روح المعانى:

«وقيل: تتنـزل عليهم، يمدونهم فيما يعن ويطرأ لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم،...إلخ.[3]

النجـاة من النار:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

عندما يقوم الناس من قبورهم إلى الحشر، وإلى فصل القضاء، يغشاهم من

---

(١) رواه البخارى من حديث عائشة – رضى الله عنها – (٦٥١٠). وانظر ابن حجر «فتح البارى»، (١١/ ٣٦١).

(٢) انظر الإمام الغزالى «إحياء علوم الدين»، مجلد٤، (١٥/ ٢٨٥٩).

(٣) العلامة محمود الألوسى «روح المعانى»، مجلد١٣، (٢٤/ ١٨٦).

الهول والكرب شيء عظيم، ثم يساقون إلى النار جميعهم، فتأخذ أصحابها، وينجو أهل التقوى بتقواهم.

اختلف المفسرون في تأويل هذا الورود في الآية الكريمة، وها هو ذا اختصاره، مع الراجح منه:

ذهب جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة إلى أنه الدخول، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله تعالى في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦]، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عباس وخالد ابن معدن[1] وابن جريج[2] وغيرهم. وهذا الدخول لا تعدو النار على المؤمنين، ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم حقيقة ما نجوا منه.

يقول العلامة محمود الألوسى، في «روح المعانى»: «أخرج أحمد والحكيم والترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه وجماعة عن أبى سمية، قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال آخر: يدخلونها جميعاً ثم ينجى الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكرت له، فقال، وأهوى إلى أذنيه: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبق بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم عليه السلام، حتى إن للنار

(١) هو خالد بن معدان بن أبى كرب الكلاعى، تابعى ثقة، اشتهر بالعبادة، معدود في أئمة الفقه، ت ١٠٣هـ. انظر الذهبى «سير أعلام النبلاء»، (٤/ ٥٣٦).

(٢) هو عبد الله بن عبد العزيز بن جريج، من علماء مكة ومحدثيهم، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز، ت ١٥٠هـ. انظر المسعودى «شذرات الذهب»، (١/ ٢٢٦).

ضجيجاً من بردهم، ثم ينجى الله الذين اتقوا»».[(١)]

وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف واطلاع وقرب، كما تقول: وردت الماء إذا جئته، وليس يلزم أن تدخل فيه.

واحتج من قال بأن الورود ليس نفس الدخول كذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]، وإبعادهم المذكور يدل على عدم دخولهم فيها، فالورود غير الدخول.[(٢)]

وقالت فرقة: إن الورود المذكور هو المرور على الصراط، وهو جسر مضروب على متن جهنم، وقد رُوى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «إن الصراط مضروب على جسر جهنم، فيمر الناس كالبرق، وكالريح، وكالجواد من الخيل على مراتب، ثم يسقط الكفار في جهنم، وتأخذهم كلاليب».[(٣)]

وآخر الأقوال في الورود، وقد نسبه القاضى ابن عطية في تفسير «المحرر الوجيز» لمجاهد[(٤)] - ونحن نذكره لذكره في التفاسير فقط - وهو أن ورود المؤمنين هو الحمى التي تصيبهم في دار الدنيا. واحتج من قال هذا القول بحديث الرسول ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»، وفى الحديث:

---

(١) العلامة محمود الألوسى «روح المعانى»، مجلد٩، (١٦/ ١٧٧).

(٢) انظر العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، (٤/ ٣٤٩).

(٣) انظر ابن عطية «المحرر الوجيز»، (٤/ ٢٧). وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه كذلك أنهم يردون النار وهى خامدة، ثم تسوخ بأهلها، ويخرج المؤمنون فائزون. وروى عنه كذلك أنهم يدخلونها جميعاً، ثم يصدرون بحسب أعمالهم. نفس المصدر السابق، والشنقيطى «أضواء البيان»، (٤/ ٣٥٢).

(٤) ابن عطية «المحرر الوجيز»، (٤/ ٢٧).

«الحمى حظ كل مؤمن من النار».

أما الراجح فهو القول: بأن الورود هو الدخول، وذلك لما فيه من إظهار نجاة المتقين وفوزهم، مما يجعلهم مستعدين لهذا الموقف في الدنيا.

أما أدلة ترجيح هذا القول:

فالأول: ما احتج به الإمام ابن عباس - رضى الله عنهما - على نافع بن الأزرق بأن الورود هو الدخول.

الثانى: هو أن في الآية قرينة دالة على ذلك، وهى أنه تعالى لما خاطب جميع الناس، بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم، بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، بين مصيرهم ومآلهم بعد الورود المذكور بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، أى نترك الظالمين فيها، وهو دليل على أن ورودهم لها دخول، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا﴾، بل يقول: وندخل الظالمين، وهو واضح. وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾.(١)

وفى نهاية المسألة لابد من التنبيه على أن التقوى - وهى صاحبة الفضل في نجاة أصحابها - درجات، فليس المتقون في درجة واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.(2) ومن ثم فإن خروجهم من النار ليس دفعة واحدة جميعاً، بل كل على حسب تقواه. ويحسن نقل قول العلامة الألوسى في ذلك.

---

(١) انظر الشنقيطى «أضواء البيان»، (٤/ ٣٥٠). والألوسى «روح المعانى»، (١٦/ ١٨٠). وصديق حسن خان «فتح البيان»، (٦/ ٤٥-٤٧).

(٢) الألوسى «روح المعانى»، (١٦/ ١٧٨)، الشنقيطى «أضواء البيان»، (٤/ ٣٥٢)، وغيرها.

يقول – رحمه الله: «والذى تقتضيه الآثار الواردة في عصاة المؤمنين أن يقال: إن التنجية المذكورة ليست دفعة، بل تحصل أولاً فأول، على حسب قوة التقوى وضعفها حتى يخرج من النار من كان في قلبه وزن ذرة من خير وذلك بعد العذاب حسب معصيته. وأما ظاهر من الأخبار كخبر جابر السابق أن المؤمن لا تضره النار مؤول بحمل المؤمن على المؤمن الكامل، لكثرة الأخبار الدالة على أن بعض المؤمنين يعذبون».(١)

يتضح بهذه المسالة – على أى حال – من الأخذ والرد فيها بهذا الاختصار الشديد قيمة التقوى وأهميتها، وما ينبغى على المؤمن من لزوم التزود منها ليوم معاده.

أما قول العلامة ابن عاشور في تفسير الآية – حيث يخالف ما سبق جميعاً – تركناه للهامش.(٢)

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

وهذه الآية الكريمة مرتبطة بما قبلها من مناقب التقوى وأهلها، إذ تبين هيئة قدوم المتقين على ربهم، وهو قدوم مكرم، قدوم الوفود على الملوك، وإن كان قدوم الوفود على الملوك يعقبه انصراف، ولكن هذا القدوم على الله تعالى قدوم مقيم، كأنهم وفود مكرمة أبداً، لا ينالها إلا الكرامة وحسن الاستقبال الدائم،

---

(١) الألوسى «روح المعانى»، (١٦/ ١٨٠).

(٢) ذهب العلامة الطاهر بن عاشور، في تفسيره «التحرير والتنوير»، إلى خلاف ما ذكرنا من أقوال أهل التفسير، وملخص قوله: أن المتقين لا تنالهم النار أصلا، وأن الورود المذكور ليس الدخول، وإنما الدخول في الآية للكفرة وأن ما ذكره الفخر الرازى من فوائد لهذا الدخول لا اعتداد به. انظر ابن عاشور «التحرير والتنوير»، (١٩/ ١٤٧-١٥٢). ولم أر له – يرحمه الله – سلفاً فيما علمت إلا الإمام أبا حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٨٩).

obeikandi.com

وأنواع التحف وحسن الوفادة خالدين فيها أبداً.

وهذا قول أبى حيان كذلك، يقول أبو حيان في «البحر المحيط»، في تفسيره للآية: وعدى ﴿ نَحْشُرُ ﴾ بـ﴿ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ تعظيماً لهم وتشريفاً.

ولكن ما زال فضل الله تعالى على أهل التقوى مبسوطاً، حيث ذكر بعض أهل العلم – كما مر آنفاً – أن المتقين يحشرون فور خروجهم من قبورهم وفداً إلى ربهم، وذكر فريق آخر أن ذلك بعد انقضاء الحساب، وذكر بعضهم أنه يمكن الجمع بين القولين السابقين، ولا يلزم تحقق أحدهما فقط، بل يمكن أن يتحققا معاً، وذلك بأن يقال إن أهل التقوى الكاملة –أى الكُمَّل من المتقين – يحشرون من ساعة خروجهم من قبورهم هذا الحشر المكرم.

وقد ذكر هذا القول العلامة الألوسى في «روح المعانى» حيث هو الذي فصل هذا القول.(1)

وعلى كل تلك الأقوال أو بعضها فإن المتقين يصلون الجنة ركباً وافدين مكرمين، على هيئة حسنة، وعلى منظر جميل حسن يليق بلقاء الله تعالى ومجاورته في جنته.

لا شك أن ما سبق مما ذكرنا من عاقبة التقوى هو الفلاح المبين، وقد تكرر قوله تعالى فيما أحصينا في أول الفصل: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ ([البقرة: ١٨٩][آل عمران: ٢٠٠][المائدة: ٣٥])، ليدل على أن التقوى سبيل الفلاح، وهذا الفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول الزمخشرى في «الكشاف»: ومعنى التعريف في ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك عنهم أنهم يفلحون في الآخرة، كما

---

(١) انظر الألوسى «روح المعانى». والنيسابورى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (١٦/ ٧٢)، على هامش تفسير ابن جرير الطبرى.

إذا بلغك أن إنساناً قد ثاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل: زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته، أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين، وتحققوا ما هم، وتصوروا بصورتهم الحقيقة، فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة، كما تقول لصاحبك: هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الأقدام؟ إن زيداً هو، فانظر كيف كرر الله التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهى ذكر اسم الإشارة وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك، ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب، والتمنى على الله لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته»(1).

وقد وردت الآيات على المتقين حين يقدمون على ربهم، يقدمون عليه وقد غفرت ذنوبهم وكفرت عنهم سيئاتهم.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩]. وهذه الآية الكريمة من أشد الآيات وضوحاً في التدليل على ما نحن بصدد الكلام عليه من أن التقوى سبيل المؤمنين لتكفير سيئاتهم ومغفرة خطاياهم، وفضل الله أوسع من ذلك كذلك.

أما ما نحن بصدده الآن من المغفرة وتكفير السيئات فقد خاطب الله تعالى المؤمنين - في هذه الآية الكريمة - بوصف الإيمان، تذكيراً لهم بأهميته، وما يقتضيه من سرعة الإجابة وتمام الامتثال والدوام على الطاعة، وعقب ذلك بالترغيب في التقوى، تحذيراً من العصيان، وتنبيهاً على سوء عاقبته، مع بيان حسن عاقبة التقوى من الوعد بالنصر واستقامة الأحوال، وتكفير السيئات

(١) جار الله محمود بن عمر الزمخشري «الكشاف»، (١/ ٢٥).

وغفران الذنوب، إن هم داموا على ذلك.

يبين ذلك فعل الشرط فى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، لأن فعل الشرط المراد به الدوام، فكأنهم كانوا متقين، وبالتالى يكون المعنى تحذيراً لهم من الخيانة لله وللرسول – الواردة في سياق الآيات قبلها، وترغيباً في المداومة على التقوى، ثم ذكر عقيب ذلك عاقبة التقوى والمداومة عليها.

أما تكفير السيئات فهو سترها عليهم في الدنيا، وهى التي فرطت منهم وأعقبتها التقوى.

أما قوله: ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ﴾ فهو محذوف المفعول، أى يغفر كل الذنوب.

أما قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ بعد تكفير السيئات وغفران الذنوب، بدل أن يقول – مثلاً: والله غفور رحيم؛ فليبين لهم أن كل ذلك تفضيل منه سبحانه.

على ما جاء عند العلامة الألوسى(١): «أن ذلك من عظيم فضله أن يتفضل من غير واسطة وبدون التماس عوض، ولا كذلك غيره – سبحانه».

ويرى العلامة الطاهر بن عاشور أن ذلك تذييل وتكميل، وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى.

والحاصل أن المقصود في الآيات الحث على التقوى، وتحقيق فائدتها، والتعريض من التفريط فيها، فلا يحصل التكفير ولا المغفرة بأى احتمال.(٢)

وهكذا نرى في بقية الآيات التي رتبت المغفرة وتكفير السيئات على التقوى، لتظهر أهمية التقوى، وعناية الله تعالى بأهلها، وتعجيل المثوبة لهم، مع ادخار

---

(١) انظر العلامة الألوسى «روح المعانى»، مجلد٦، (٩/ ٢٨٥). وهو بنصه من: أبى السعود «إرشاد العقل السليم»، (٢/ ٣٥٧).

(٢) انظر العلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٩/ ٣٢٧).

جزاء ذلك في الآخرة، ليحوزه المرء أحوج ما يكون إليه، حيث لا ينفع المرء ولا ينجيه إلا تقوى الله تعالى.

تعظيم الثواب (إعظام الأجر):

فإذا كانت التقوى سبب تكفير السيئات، وغفران الذنوب، فإنها لا تقف عند هذا الحد فقط، بل تزيد عليه بإعظام الأجر وتكثير الثواب لأصحابها، مما يعنى رفع درجاتهم، وعلو مرتبتهم على حسب تقواهم، ويعنى كذلك أن باب المنافسة مفتوح لتحصيل أعظم الأجر، بتحصيل أعظم أسباب التقوى وصفاتها.

وفى ذلك يقول الحق – جل وعلا:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق: ٥].

وغيرها من الآيات التي أشارت إلى عظيم الثواب، وإن لم تنص عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: ٥٧].

أما الآيات الأولى في إعظام الأجر للمتقين فواضحة، حتى اختصر المفسرون الكلام فيها، فمثلاً يقول الإمام ابن كثير، في قوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾، «أى يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير».[1]

---

(١) ابن كثير « تفسير القرآن العظيم »، (٤/ ٣٨٢).

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: ٥٧]، فإن أفعل التفضيل يشر إلى أن أهل التقوى لهم أجر عظيم كذلك في الدنيا، بدليل ذكر أجر الآخرة، فإن الله تعالى من فضله يعجل لهم في حياتهم الأولى ثواباً وعطاءً، ولكنه ينبه في نفس الوقت على أن أجرهم في الآخرة خير، إذ لا قياس بين أجر الدنيا – مهما كان – وأجر الآخرة المقيم الدائم، مع عظم كنهه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك لأهل التقوى في الدنيا. ولا شك أن تنكير الأجر وإبهامه مما يدل على عظمه، وأنه لا يدركه الخيال ولا يحيط به الفكر.

ويؤكد ذلك ويقويه أن الآية جاءت في سياق ما حدث لسيدنا يوسف عليه السلام، فبعدما جرى له من المحن المعلومة، كانت عاقبة التقوى أن مكنه الله تعالى في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ويحكم فيها بما يشاء، وهو من فضل الله تعالى لأهل التقوى في الدنيا، كما قال الحق – سبحانه – في الآية: ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ٥٦-٥٧]. والآية عامة لأهل التقوى في كل زمان ومكان، وما حدث ليوسف عليه السلام جراء تقواه، لربه – سبحانه وتعالى، الدليل الحى والواقع الحادث، ويمكن أن يتكرر بتكرار أسباب التقوى، وقد تكرر كما قد علمنا مع المرسلين والصالحين من بعدهم. يقول الزمخشرى في الكشاف: «﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أن نأجرهم في الدنيا: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ لهم. قال سفيان بن عيينه: المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية».[1]

---

(١) جار الله الزمخشرى «الكشاف»، (٢/ ٢٦٣ – ٢٦٤).

رفعتهم فوق غيرهم:

ومما يميز أهل التقوى يوم القيامة أنهم سيكونون في الدرجة العليا من بين المؤمنين، حيث يرون ساعتها العاقبة الحسنة للتقوى، مما يجعل الناس يغبطونهم على علو منـزلتهم ويتمنون أن لو أفنوا أعمارهم وجهدهم وأموالهم في تحصيل هذا النعيم المقيم والدرجة الرفيعة تلك.

وهذا بدوره يدفع المؤمنين المصدقين اليوم بموعد الله إلى التنافس في القرب العظيم من الله تعالى، وما يستتبعه ذلك من رضوان.

يقول تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

يقول أبو حيان في «البحر المحيط»: «وجاءت هذه الجملة مصدرة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ ليظهر أن السعادة الكبرى لا تحصل إلا للمؤمن المتقى، ولتبعث المؤمن على التقوى»(١).

ويضيف العلامة صديق حسن خان، في تفسيره «فتح البيان»: «وفيه دلالة على أن فوقيتهم من أجل التقوى، وفيه تحريضهم على الاتصاف به إذا سمعوا ذلك، أو للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها شاغلة عن جانب القدس»(٢).

وهذه الفوقية لأهل التقوى حقيقة ومجاز، لأن المتقين في أعلى علِّيِّين، وأن الكافرين في أسفل سافلين، أو أنهم في أوج الكرامة، وهم في حضيض الذل

---

(١) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى «البحر المحيط»، (٢/ ٣٥٥). وهو بنصه فى: الفخر الرازى «التفسير الكبير»، (٣/ ٢٦٨).

(٢) صديق حسن خان «فتح البيان في مقاصد القرآن»، (١/ ٣٣٩).

والمهانة، أو أنهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا، والتعبير بالجملة الاسمية للدلالة على دوام ذلك، مع تسلية المؤمنين بهذه المنـزلة عندما يحدث لهم من الكفار مثل تلك السخرية في الدنيا.(١)

وفى قوله – سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [البقرة: ٢١٢] أن المتقين لم يبلغوا هذه الدرجة من التقوى إلا بالزهد في الدنيا، وإخراجها من قلوبهم، وإن كانت في أيديهم، وإنها لم تكن بزهرتها ونضرتها لتشغلهم عن ربهم والاستعداد للقائه بما يبيض وجوههم، ويثقل موازينهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥]، وقد ذكرناها في صفات المتقين، فالذين اتقوا تطلعهم لأعلى من ذلك، وأبقى وأجل من هذا الخسيس القليل القصير الفانى.

الخلود في الجنة :

وجزاء المتقين بعد نجاتهم من أهوال القيامة ومن عذاب جهنم، أن يتفضل عليهم الله ﷻ بدخول جنته، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، حيث يحل عليهم رضوانه فلا يغضب عليهم أبداً. والمتقون في هذا النعيم درجات كما هم في درجات التقوى.

وقد أحصينا – في بداية هذا الفصل – الآيات التي بينت أن الجنة أعدت للمتقين، ولكننا نلاحظ:

أولاً: كثرة الآيات التي دلت على ذلك، بما يؤكد أهمية التقوى لتحصيل هذا

---

(١) انظر الفخر الرازى «التفسير الكبير»، (٣/ ٢٦٨). و أبا حيان الأندلسى «البحر المحيط»، (٢/ ٣٥٤-٣٥٥)، ومحمود الألوسى «روح المعانى»، (٢/ ١٥١).

الثواب العظيم، وكذلك لتنشيط همم المؤمنين لسعى الصحيح إلى الآخرة.

ثانياً: تنويع أصناف النعيم المذكورة في القرآن الكريم وكثرتها، غير ما ادخر الله تعالى وخبأ لعباده المتقين، مما لا يحيط به إلا المولى الكريم – سبحانه وتعالى – كل ذلك ليتحقق للمتقين حسن نعيم الآخرة ودوامه فيسعون إليه، ويظهر لهم خسة نعيم الدنيا وقلته فلا يشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها.

ثالثاً: التكرار، فإن المطالع لهذه الآيات التي ذكرت جزاء المتقين يظن لأول وهلة أن ذكر النعيم والجزاء فيها مكرر. ولما كانت هذه دراسة نصية لآيات التقوى فقط، فسنذكر شيئاً من هذه الآيات ونحللها، لنظهر أن ليس ثم تكرار، وإنما تنوع النعيم كماً وكيفاً، وإعجاز القرآن في نظمه ومعناه وبلاغته.

وإليك هذه الآيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الطور: ١٧-٢٤].

الثالثة: قوله – جل وعلا: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

ونبدأ في تحليل هذه الآيات مع مقارنتها بعضها ببعض، وكذلك بغيرها مستعينين في ذلك باختصار ما ذكره أهل التفسير فيها. ونبدأ بآيات سورة الدخان، وهى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ... إلى آخر الآيات.

لما ذكر الله حال الأشقياء بقوله: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾، عطف بذكر السعداء فقال: إن المتقين لله تعالى في الدنيا في مقام أمين في الآخرة، وهو الجنة، قد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده، وسائر الآفات والمصائب(١). والأمين بمعنى الآمن، والمراد: الآمن ساكنه، فوصفه بـ(أمين) مجاز عقلى. والأمن أكبر شروط حسن المكان،لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن، وهو السلامة من المكاره والمخاوف، فإن كان آمناً في منـزله كان مطمئن البال شاعراً بالنعيم الذي يناله.(٢)

ثم قال تعالى: ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾، وهو بدل من ﴿ مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾، وأعيد حرف ﴿ فِى ﴾ مع البدل للتأكيد. وهو ليس أى مقام، بل هو مقام التنزه وطيب العيش والنعيم الدائم. ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ جمعها باعتبار جمع المتقين، أى جنات

(١) انظر ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٤/ ٢٤١ - ٢٤٣).

(٢) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣١٧)، (٢٧/ ٣٤٧). والفخر الرازى «التفسير الكبير»، مجلد ١٤/ ٥٦٩ وبعدها. وأبا حيان «البحر المحيط»، (٩/ ٤٠٩)، وقد نقل عن ابن عطية أن أمين بمعنى مأمون فيه يؤمن فيه من الغير. وابن عطية «المحرر الوجيز»، (٥/ ٧٧). والزمخشرى «الكشاف»، (٣/ ٤٣٥). ومحمود الألوسى «روح المعانى»، (١٤/ ٢٠٥-٢٠٦).

كثيرة، كما في الحديث: «إنها لجنان كثيرة وإنه لفى الفردوس»، ونُكِّرت ﴿ جَنَّـٰتٍ ﴾ للتعظيم من شأنها.

كل ذلك نعيم مكانهم، ثم ثنى بوصف نعيم أجسادهم، حيث يلبسون السندس والإستبرق[1]، وبعد وصف نعيم مكانهم وأجسامهم وصف نعيم نفوسهم، بعضهم مع بعض في مجالسهم ومحادثاتهم بقوله: ﴿ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ وقد أغنت هذه اللفظة الجميلة الواحدة بهذا الإيجاز البديع عن كونهم يجلسون على السرر، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره، وهو أدعى للمحبة وعدم الشعور بالدونية، مما يحدث الأنس وكمال المسرة، يتحدثون ويتفكهون، ويتسامرون على أحسن هيئة، وأحلى اجتماع، وهم متحابون يأنس بعضهم ببعض.

ثم انتقل القرآن الكريم إلى تكملة نعيمهم في هذه الآيات وهو استكمال الأنس الجسمانى والروحى بصحبة تلك النسوة الأطهار الجميلات، على المتعارف عليه في أنس الدنيا، فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾، وهو اعتراض يبين أن هناك نعيماً أيضاً كالسابق زدناهم اياه، وهو تزويجهم بالحور العين، أى النساء البيض[٢] بضيضات الجلد واسعات العيون.

وهى صفة نساء أهل الجنة من نساء الدنيا، ومن النساء اللاتى يخلقهن الله لأهل التقوى في الآخرة، وهذا من فضل الله على النساء الصالحات في الجنة أن يكن على أحسن صورة - إذ ليس في الجنة حزن ولا تنغيص ولا حسد ولا حقد أن يرين الحور العين أجمل أو أفضل منهن - وكذلك تلحق المرأة بزوجها وإن

---

(١) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣١٧). وأشار إلى أن الأكثر على السندس والإستبرق معرب من الفارسية.

(٢) وقيل: الحور شدة بياض العين مع شدة سوادها، وقيل غير ذلك. انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣١٨). ومحمد بن أبى بكر الرازى «مختار الصحاح»، عنى بترتيبه محمود خاطر بك، ط. دار المعارف:١٩٢٢م/ ١٣٤٠ هـ.

كانت أقل في العمل، وكذلك الرجال إزالة للوحشة وإتماماً للنعيم.

ويزداد نعيمهم وأنسهم وسرورهم بتفكههم بجميع أنواع الفاكهة، لا بتخصيص شيء منها بمكان ولا زمان، وإنما يأمرون بإحضار كافة ما يتلذذ بطعمه من الثمار، فيكون حاضراً بين أيديهم، فـ (كل) في قوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ مستعملة في الكثرة الشديدة لكل منهم، أو الإحاطة بكل صنف من أصناف الفاكهة، ليحلوا لهم سمرهم وأنسهم.

وختم تلذذهم بتلك الفاكهة بقوله: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾، أى من كل ضرر، وهو أمن غير الأول المذكور في قوله: ﴿ مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾، متعلق بأكلهم، إذ هو ليس كأكل وتلذذ أهل الدنيا، الزيادة فيه والتوسع منه يؤدى إلى التخمة والضرر والآلام، بل هو تلذذ مهما أكثر منه لا غوائل ولا ألم له.

كذلك جاءتهم البشارة من الله تعالى بخلود ذلك النعيم، ودوام ذلك السرور وتلك البهجة بقوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾، أى لا يذوقون فيها الموت أبداً، من تأكيد الشيء بما يشبه الضد لزيادة توكيد انتفاء ذوقهم للموت.(١)

يقول الزمخشرى، في الكشاف: «فإن قلت كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها؟ قلت: أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع قوله ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ موضع ذلك، لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال».(٢)

وقد ذكر هذا المعنى عن الرسول ﷺ فيما روى في البخارى ومسلم، قال

---

(١) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣١٩).

(٢) الزمخشرى «الكشاف»، (٣/ ٤٣٥)، ونقل ذلك بنصه الألوسى في «روح المعانى»، مجلد١٤، (٢٥/ ٢٠٨)، وفصل فيها بعد. وكذلك ذكره الرازى في «التفسير الكبير» ولكن نسبه للزمخشرى، مجلد١٤.

«يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».[١]

﴿ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦ ﴾، وهى منة عظيمة على أهل التقوى، حين يرون أصحاب الجحيم وما هم فيه، ويرون نعيم أنفسهم، وما أنقذهم الله منه، فيرون كم هى نعمة جسيمة وفقهم الله تعالى لها، وذلك عطف على النعيم السابق، فكأنه من تمام نعيمهم سلامتهم مما ارتبك فيه غيرهم، وهذا مما يحمد الله – جل وعلا – عليه، كما ورد أن من آداب من يرى غيره في شدة أو بأس أن يقول: الحمد لله الذي عافنى مما ابتلى به غيرى.[٢]

ثم ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، أى إنما كان ذلك بفضله – سبحانه – عليهم، وإحسانه إليهم، إذ لا يساوى عملهم ذلك النعيم ولا يدانيه، ولو حاسبهم بعدله لعذبهم، ومن ثم كان ذلك فضلاً منه – سبحانه، وورد في الحديث ما يدل لذلك، فقال النبى ﷺ : «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بنعمة منه وفضل».[3]

ولاحظنا في هذا الختام للآيات: أن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ يبين أن الفوز العظيم هو الفوز بالمطالب والنجاة من المكاره، والإشارة في ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لتعظيم ذلك الفوز ببعد المرتبة. وكذلك يشير السياق إلى أن ذلك

---

(١) رواه البخارى (٤٧٣٠). وانظر ابن حجر «فتح البارى»، (٨/ ٤٢٨). رواه مسلم (٢٨٤٩).

(٢) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣٢٠)، والحديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٣) انظر الحافظ إسماعيل بن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٤/ ١٤٧). والحديث رواه البخارى وانظر ابن حجر «فتح البارى»، (١٠/ ١٢٧) (٥٦٣٣).

الفوز الذي لا فوز غيره، حيث أفاد ذلك أسلوب القصر الناشئ عن الإتيان بضمير الفصل ﴿ هُوَ ﴾.[(١)]

ونشرع الآن في تحليل الآيات الثانية، وهو الموضع الثانى الذي ذكرناه في بداية الكلام، لنبين به جزاء المتقين، ولنقارن به بين الآيات. وهو في سورة الطور، من أول قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾...إلى آخر الآيات.

ونلاحظ في بداية الآيات هذا التناسب الجميل، حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ ﴾، فلما بدأ بقوله ﴿ جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ قال: (فاكهين)، وهو ما يقتضيه النعيم والفَكِه من طابت نفسه وسر وهم فاكهون.

ويقول الحق تعالى: ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾، فذكر أنهم فاكهون بما هم فيه من النعيم، واستحضر لفظ ﴿ رَبُّهُمْ ﴾ ليظهر:

أولا: عظم تفكههم، لأنه منبن على أن ذلك مما آتاهم ربهم، فلما أضاف الإيتاء إليه دل على عظيم الإيتاء، لأنه على قدر المعطى يكون العطاء.

ثانيا: أن في إضافة الرب إلى ضميرهم ﴿ رَبُّهُمْ ﴾ تقريباً لهم وتعظيماً، وأى حال أجل وأكمل من الإضافة إلى العظيم المتعال..؟

﴿ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾: وهى مثل سابقتها في سورة الدخان، والمقصود من ذكر هذه الحالة: إظهار التباين بين حال المتقين وحال المكذبين، زيادة في الشعور بالمنة، فإن النعمة تزداد حسن وقع في النفس عند

---

(١) انظر العلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٥/ ٣٢٠). والألوسى «روح المعانى»، مجلد١٤، (٢٥/ ٢٠٩).

ملاحظة ضدها.[1]

وزاد في نعيمهم عن الآيات الأولى قوله: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾، وهذا مقول قول محذوف، يقال لهم من الله – جل وعلا – أو الملائكة، تلطفاً بهم، وزيادة إيناس.

وقد حذف مفعول الأمر في ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ ليعم كل أكل وكل شرب، مما يشتهى لهم، لا يمنعون من شئ، ولا يفقدون مما يطلبون شيئاً.

وليس الأمر مقتصراً على أن يأكلوا ويشربوا كل ما يشتهون، بل أكل وشرب هنئ [٢]، فهو سالم من الكدر في كل ما يتعلق به.

ثم يزيد في إكرامهم بأن ما يأكلون وما يشربون وما يتنعمون، ذلك عوض ما قدموا من عمل صالح – وإن كان ذلك فضل الله كما تقدم في الآيات الأولى – لأن ذلك مما تشعر باء السببية كأنه يكرمهم ويعززهم، فيقول لهم: كلوا واشربوا فإنه ملككم ونتيجة أعمالكم.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾: أى تلذذوا بأكلكم وشربكم حال كونكم على هيئة أهل الترف والرفاهية، إذ تلك هيئة ملوك الدنيا في أكلهم وشربهم من الأكاسرة و الأباطرة. يصف الأعشى ذلك فيقول:

---

(١) انظر الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٤٨).

(٢) هنيئا وصف لمصدرى كلوا واشربوا، أى أكلا وشربا هنيئا. وجوز الزمخشرى أن الباء زائدة، و(ما) هى الفاعل في قوله (بما ما كنتم..)، كقول كثير:

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

أى هنؤا لعزة المستحيل من أعراضنا.

جار الله الزمخشرى «الكشاف» (٤/ ٣٤). والعلامة الألوسى «روح المعانى»، مجلد١٥، (٢٧/ ٤٩).

obeikandi.com

نـــازعتهم قـــضب الريحـــان متكئـــاً وخمـــرة مـــزة راووقهـــا خـــضل

وهم ملوك الآخرة، كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠].

وزيادة أنسهم أنهم مجتمعون كل سريرة مضطجعاً، كما ذكر الله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ٤٤]، وذلك لمزيد البهجة وتمام اللذة، باجتماعهم على أكلهم وشربهم.

فزادت هذه الآيات على آيات الدخان لفظاً ومعنى، حيث ذكر هنالك (متقابلين)، وذكر هنا ما أشرنا إليه، مما يبين الفرق في الأسلوب، والزيادة في النعيم.

﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ : وإن كررت هنا، إلا أنها أشد مناسبة لما هنا، حيث جاءت بعد الأنس والأكل والشرب الهنئ، ليستكملوا بقية شهواتهم وتمام لذائذهم، إذ ذلك موضعه ثم.(١)

أما قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ فهو اعتراض بين ذكر كرامات المؤمنين في قوله السابق – سبحانه: ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾، واللاحق في قوله – جل ذكره ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. والمطالع يظن أول وهلة أن لا علاقة للآية بنعيم المتقين، بل على العكس هى كرامة للمتقين ونعيم لهم، إذ هو نعمة جمع الله بها للمتقين أنواع المسرة، بسعادتهم بمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان، وباجتماع أولادهم ونسلهم معهم، لأنه كيف يتم نعيمه وقد حيل بينهم وبين أولادهم وذريتهم، ذلك تنغيص وهم وتشوف لا يليق بالجنة، التي لا يمسهم فيها سوء ولا هم يحزنون.

---

(١) انظر العلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٤٧).

ونبدأ بشيء من التفصيل:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ : أى إكراماً لهؤلاء الآباء المؤمنين تلحق بهم ذريتهم ونرفعهم إلى درجة آبائهم، ما دامت الذرية مؤمنة بأى إيمان كان، وهو ما يفيده تنكير إيمان(١)، خاصة وأن إيمان الذرية سببه إيمان الآباء، لأنهم لا شك يلقنون أبناءهم الإيمان لوقايتهم من النار، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]، ولو كان إيمانهم كإيمان آبائهم فأى منة في رفعهم الى درجة آبائهم إذ هم فيها بغير منة.

وقد ورد في هذا حديث ذكره المفسرون. يقول الإمام القرطبى في تفسيره «الجامع لاحكام القرآن»: عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقر بهم عينه» ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ ...إلى آخر الآية.(٢)

وما ألتنا الآباء من ثوابهم شيئاً، أى وما أنقصناهم كما هو الحال في الدنيا، بل ثوابهم موفور كما هو، وإلحاق ذريتهم بهم ورفعهم إليهم، كرامة لهم، ومزيد نعيم يشملهم.

---

(١) في الآية كلام آخر أن التنكير للتعظيم، ويكون النعمة بجعلهم في مكان واحد، أو بسبب إيمان عظيم للآباء، ألحقنا بهم ذريتهم، وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم، وعلى آبائهم، ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم.

انظر الألوسى «روح المعانى»، مجلد١٥، (٢٧/ ٥١)، وغيره: الزمخشرى، والقرطبى.

(٢) هذا كلام القرطبى بهذه الرواية، في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، مجلد٩، (١٧/ ٦٦).

وانظر الطبرى «جامع البيان في تفسير القرآن»، مجلد١١، (٢٧/ ١٥). وتفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير، (٤/ ٢٤١-٢٤٢). والألوسى «روح المعانى»، مجلد١٥، (٢٧-٥٠). والطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٤٩).

ثم قال الحق تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾، وكأن الله – جل وعلا – يظهر فضله ومنته على المتقين، بأن كل أحد مرتهن بعمله، يأخذ درجته على قدره، إلا ذريات المتقين، فإنهم يلحقون بآبائهم، ولولا تلك الكرامة لكانوا كذلك كغيرهم، يأخذون ثوابهم على قدر عملهم، ولا يلحقون بآبائهم.

والآباء كذلك مع الأبناء، فإن الله تعالى يتفضل على الأبناء المتقين برفع آبائهم إليهم، وإن كان الآباء أقل درجة، وهذا مما تشمله الآية تكرماً منه – سبحانه. يقول صديق حسن خان في «فتح البيان»: «﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾: الذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء، فإن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل، ابناً كان أو أباً. وهو منقول عن ابن عباس وغيره». إلى أن يقول: «وعنه أيضاً أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يارب قد عملت لى ولهم. فيؤمر بإلحاقهم به»، أخرجه الطبرانى وابن مردويه»[(١)].

وهكذا تكون هذه الآيات في نعيم المتقين زائدة على ما في آيات سورة الدخان.

ونعيم جديد لم يذكر في الآيات الأولى – من سورة الدخان – تسوقه إلينا الآيات التالية، بقوله – جل وعلا: ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾.

والمدد الزيادة فيما هم فيه من النعيم، يزدادون منه وقتاً بعد وقت مما تشتهيه أنفسهم، فواكه متنوعة، ولحوم يستطيبونها من فنون النعماء وأنواع الآلاء، وإن لم يقترحوا ولم يصرحوا بطلبه[(٢)]، ولكل منهم ما اشتهى.

---

(١) صديق حسن خان «فتح البيان في مقاصد القرآن»، (٩/ ١٤٤).

(٢) انظر تفسير النسفى، المسمى«مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، (٣/ ١٤٥). وكذا هو

openkamal.com

وخص الفاكهة واللحم تمهيداً لما يأتي في قوله: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، حيث منحهم الله تعالى في الآخر لذة نشوة الخمر، والمنادمة على شربها، لأنها من أحسن اللذات فيما ألفته نفوسهم.

﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ : يتعاطون فيها إناء الخمر مملوءاً[(١)]، وإن بعضهم يصب لبعض ويناوله على سبيل الإيثار والكرامة، وقيل: إن تنازعهم الكأس مجاذبة بعضهم كأس بعض إلى نفسه، على سبيل المداعبة، أنساً ومسرة.

وهذه الكأس التي يتناولونها لا يصاحبها لغو ولا تأثيم، إن كان المقصود بها الإناء، أما إن كان المراد بالكأس الخمر، فيكون لا لغو ولا تأثيم يصيبهم بسبب شربها. وعلى كلا الوجهين، فإنها لا يخالط شاربيها ما يصيب المتنادمين في الدنيا في الشراب في سفههم وعربدتهم، فلا يتكلمون بسقط الحديث مع الهذيان وما لا طائل تحته، وكذلك لا يفعلون ما يؤثم به فاعله من الكذب والشتم والفواحش.[(٢)]

ثم بينت خاتمة الآيات من يقوم على خدمتهم، بقوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾. الغلمان هم خدمهم في الجنة، خلقهم الله

=

في الكشاف. وصديق حسن خان «فتح البيان»، (٩/ ١٤٥). والألوسى «روح المعانى»، مجلد ١٥، (٢٧/ ٥٣).

(١) إناء الخمر مملوءا يسمى كأساً، فإذا فرغ لم يسم كأساً: الإمام القرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، مجلد٩)، (١٧/ ٦٨). وهى مؤنثة: مختار الصحاح، الرازى، باب الكاف.

(٢) انظر جار الله الزمخشرى «الكشاف»، (٤/ ٣٧). والألوسى «روح المعانى»، مجلد١٥، (٢٧/ ٥٣)، وهو نفسه كلام الزمخشرى. والطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٥٢-٥٣).

تعالى لأجلهم.[(١)] قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾. ومنظرهم وهيئتهم في الحسن والجمال والنظافة، كأنهم اللؤلؤ المصون لكمال حفظه ونفاسته، أو لارتفاع قيمته. نسارع فنقول: إذا كان الخدم على هذه الهيئة، فما بال المخدومين من أهل التقوى؟

يطوف هؤلاء الغلمان عليهم بأنواع الطعام والشراب، والفواكه والتحف، وإن كان يناسب ما قبله في قوله: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسًا ﴾، أى يدورون عليهم في مجالسهم يناولونهم الخمر وغيره.

وجئ بالطواف في صيغة المضارع:

أولاً: للدلالة على التجدد والتكرار الذي لا ينقطع، بخلاف لذات الدنيا فإنها تنتهى، فتكره الزيادة لأصحابها، لما يصاحبها من الغول والإطباق ووجع الأمعاء من الخمر أو الشبع مما يحيل اللذة ألماً.

ثانيا: أشعر تكرر الطواف بتكرر المناولة، لما فيه لذاتهم، فصار كل ذلك لا سآمة فيه ولا ملل كذلك.

ولم تبين الآية بأى شئ يطوف الغلمان ليتصور أنهم يطوفون عليهم بكل ما يخطر أو لا يخطر، فهم يطوفون عليهم بكل أصناف النعيم وبينت غيرها من

---

(١) ذكره الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٥٥). وقال الألوسى في «روح المعانى»: «غلمان لهم أى مماليك مختصون بهم، كما يؤذن به اللام، ولم يقل: غلمانهم، لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا، فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة، فيحزن بكونه لا يزال تابعاً. وقيل: أولادهم الذين سبقوهم.. وكذا نسبة الخدم إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتنان «روح المعاني»، (٢٧/ ٥٣). وقال القرطبى: «قيل: هم أولاد المشركين، وهم خدم أهل الجنة، وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر أنهم على نهاية النعيم، الإمام محمد بن أحمد القرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، مجلد٩، (١٧/ ٦٩).

opeilandi.com

الآيات شيئاً مما يطوفون به – فأغنى عن ذكره هنا – كقوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ [الزخرف: ٧١]، وكقوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٦] وكقوله – عز من قائل: ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

وقد يقال: لم استخدم الغلمان في ذلك، ولم يخدمهم الكبار؟

الغلام من هو في سن البلوغ أو يقاربه، وكانوا أكثر ما يتخذون خدمهم من الصغار، ولعدم الكلفة في حركاتهم، وعدم استثقال تكليفهم.(١)

بهذا يتبين ما كنا نطلب في بداية ذكر الآيات لجزاء المتقين في الآخرة، وظهر الفرق في الآيات، والزيادة في بعضها عن بعض،إلى غير ذلك مما ذكرنا من فوائد.

وأخيراً، ننظر في الموضع الثالث لآيات جزاء التقوى في الآخرة، وهى آيات سورة النبأ، من أول قوله: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾.

«المتقين» هنا جاءت في الخبر المتقدم، وهذا للتنويه بشرفهم(٢) وأن هذا الفوز للمتقين، لا لغيرهم. وهذا من معنى اللام التي تفيد ملكهم لذلك، واختصاصهم به، مما يحث المؤمنين على التزام التقوى والمسارعة إليها. وزادنا هذا التعبير هذه المعانى الجديدة على ما في الآيات الأخر.

اختلف التعبير الخاص بالجنة عن الآيتين السابقتين، حيث الأولى: ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ ﴾، والثانية: ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾،

---

(١) الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٥٥).

(٢) انظر العلامة ابن عاشور «التحرير والتنوير»، (٢٧/ ٤٣).

وهنا جاء تعبير القرآن الكريم بقوله ﴿ مَفَازًا ﴾: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۝٣٢ ﴾، فالمفاز هنا أعم من الجنات، فتكون الحدائق بدل بعض من كل، إذ الجنات ليست كل الفوز للمتقين، إذ هناك الكواعب الأتراب والكأس الدهاق... إلخ، فأضاف معنى جديداً، علاوة على أن التعبير بمفاز المنونة يفيد كونه مفازاً عظيماً، وهو مكان الفوز والظفر، أو الفوز والظفر نفسه(١) وكذلك النجاة.

فإذا أضفنا ذلك إلى ما سبق من الآيات التي ذكر الله تعالى فيها عاقبة الطاغين – حيث قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ ﴾ إلى آخر الآيات – اتسق الأسلوب، وتناسب أشد التناسب، ليبين منة الله تعالى على المؤمنين بما نجاهم منه من العذاب، ليستشعروا بذلك فضل الله عليهم، فيزداد بذلك إحساسهم بالنعمة السابغة والنعيم المقيم.

وفى الموضعين الأولين ذكر نعيمهم بالحور العين، بقوله: ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾، أما في هذه الآيات فذكر الحق – سبحانه – أن من فوزهم الذي به فازوا ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ ليبين عظيم ما فازوا به جراء تزويجهم بالحور العين، ثم شيئا من جمالهن وحسنهن ومحاسنهن، فكان ذلك زيادة على الإجمال في قوله: ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾، أما الجمال والنفاسة ففى حور صغيرات كواعب، أى نهدت صدورهن، وذلك أحب إلى الرجال، وكذلك ﴿ أَتْرَابًا ﴾ متقاربات، لا يميل المرء إلى إحداهن أكثر فيسبب نكداً أو تنغيصاً مما تتنـزه عنه الجنة، فيكون الاستمتاع على

---

(١) انظر الزمخشرى «الكشاف»، (٤/ ١٧٩).والألوسى «روح المعانى»، مجلد١٦، (٣٠/ ٣٠). وغيرهما. وذلك على أن المفاز اسم مكان أو مصدر ميمى، والمفازة في الاصل: الفلاة التي قل ماؤها، أطلق عليها ذلك تفاؤلاً بالخلاص منها. وانظر القرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، مجلد١٠، (١٩/ ١٨٣).

أحسن ما يكون بهن جميعا.

وأما التعبير عن مجالس الأنس والشرب، فقد قال – سبحانه – في الموضع الثانى:

﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ بصيغة المضارع على ما أشرنا من المعنى، أما هنا فقال: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ ﴾، فبين بالعطف على بالجملة الاسمية بقاء هذه اللذة وذلك النعيم، لا ينفكون عنه أبدا، وهو ما تشير إليه لفظة ﴿ دِهَاقٗا ﴾، أى كأساً مترعة مملوءة أبداً، يتناولونها وقتا بعد وقت، هذا من يد هذا، لذة بعد لذة، كذا أبداً مجالس شربهم، لا يصيبهم ما يصيب أهل الدنيا من الأوجاع والسآمة أو الوقوع في سقط القول والهذيان والتأثيم.

وزاد هنا أيضا: ﴿ كِذَّٰبٗا ﴾ ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا ﴾ أى بسبب شربها إن كان المقصود الخمر، أو عندها إن كان المقصود الكأس، وزاد أنهم لا يكذب بعضهم بعضا كما يحدث في الدنيا، أو يسمعون فيها كذباً.

وقد ذكر كثير من المفسرين[١] أن الضمير فى: ﴿ فِيهَا ﴾ يمكن أن يعود إلى الجنة، وهو صحيح أيضا لا يسمعون في الجنة لغواً ولا كذاباً من أصله، فمن باب الأولى لا يسمعون عند شرابهم ذلك.

ورأينا قوله – سبحانه – في سورة الدخان: ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ﴾، أى كل ذلك تفضل وإكرام، أما في الطور فكان قوله: ﴿ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾، وهنا اختلف، فقال – سبحانه وتعالى: ﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾.

---

(١) انظر الألوسى «روح المعانى»، مجلد١٦، (٣٠/ ٣١). والقرطبى «الجامع لأحكام القرآن»، (١٩/ ١٨٤). والطبرى «جامع البيان في تفسير القرآن»، مجلد١٢، (٢٠/ ١٤).

ومعنى الأولى - وهو ما أشرنا إليه في موضعه - أن ذلك فضل الله تعالى أن يدخلوا، أما الموضع الثانى فإن التمتع في الجنة والتفاوت في درجاتهم بحسب أعمالهم. أما الأخير، فقد جاء الأسلوب جديداً، وهو قوله: ﴿ جَزَآءً ﴾، والجزاء هو ما يجازى به، وكأنه أعطاه لهم بسبب حسن صنيعهم وقيامهم بأمر ربهم.

ثم وصف هذا الجزاء بالعطاء، وفيه إشارة إلى عكس معنى الجزاء، إذ العطاء يشعر أنه تفضل بدون عوض، وتفضل عظيم من ربك. ويكون المعنى أنهم جوزوا بسبب أعمالهم جزاء أعظم وأكمل وأفضل وأزيد مما عملوا.

وذلك ما تشير إليه لفظة ﴿ حِسَابًا ﴾، فإن من معانيها: الكفاية، أى أعطاهم حتى قالوا: حسبنا، أى أعطاهم عطاءً عظيماً كافياً. أو ﴿ حِسَابًا ﴾، أى مقدراً بالحساب العظيم من الله الكريم، المتفضل به، كمثل الحسنة بعشر أمثالها أو بسبعمائة ضعف.[1]

وهكذا رأينا من تلك الآيات كيف كانت الجنة جزاء التقوى، وعاقبتها في الآخرة مع الرضوان الأكبر عن الله تعالى، ومجاورته، والنظر إلى وجهه الكريم، وهو أعظم من كل النعيم الحسِّى المذكور.

الدار الآخرة للمتقين:

لاجرم بعد ذلك كله، أن تكون الدار الآخرة للمتقين، لا لغيرهم. وقد أحصينا آيات جزاء المتقين في الآخرة في أول الفصل، ولم يتبق سوى هذه الآيات، نستخرجها منها لننظر فيها، ونختم بها كما قلنا. وهذه الآيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ

---

(١) انظر الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى «التفسير الكبير»، مجلد١٦، (٣١/ ١٦١- ١٦٣). والطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٣/ ٤٦). وابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، (٤/ ٤٦٥).

لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النحل: ٣٠-٣١].

وقوله تعالى: ﴿ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٥].

ويلاحظ على هذه الآيات الكريمات أنها عبرت عن آخرة المتقين بأمرين: الأول: أن الآخرة لهم، في قوله: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾. والثانى: عبرت كذلك بالدار، أى الدار الآخرة، وهى كذلك لهم، وهو قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾. فكانت الآخرة كلهم لهم، وإن فسر بعضهم الآخرة بالجنة، ولكن الآخرة أعم من الجنة، إذ الآخرة تشمل نجاتهم من أهوال الحشر: الميزان، والصحف، والصراط، وكذلك تشمل رضوان الله عليهم، وتبشير الملائكة إياهم، وغير ذلك. فكان التعبير بالآخرة أشمل من التعبير بالجنة،خاصة وقد ذكر القرآن الكريم الجنة في تلك المواضع

الكثيرة التي ذكرنا بأنها جزاء المتقين، فجاء التعبير بالآخرة - ولا شك - ليضيف معنى آخر غير الجنة.

وقد وصفت الدار الآخرة في الآيات كلها بأنها خير، وقد فسرت الدار بالجنة - كما في الآيات الكريمات - والمعنى أنها خير لهم من الدنيا.

أما التعبير بالدار، فهو تشريف للمؤمنين، حيث نزلوا في محل الرعاية وحسن الإقامة، في مقابل تحقير الكفار فلم تذكر لهم دار، بل ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، أى مرصوصون فيها ينالهم جزاؤهم.

ويحسن أن نختم بما فسر به العلامة الطاهر بن عاشور الآيتين في سورتى الأنعام والأعراف: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾، ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، لما في الآيتين من تعظيم قدر التقوى وصنيع المتقين.

يقول - رحمه الله - في الآية الأولى - وهى قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾: «وعقب بقوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾، فعلم منه أن أعمال المتقين في الدنيا هى ضد اللعب واللهو، لأنهم جعلت لهم دار أخرى هى خير، وقد علم أن الفوز فيها لا يكون إلا بعمل في الدنيا، فأنتج أن عملهم في الدنيا ليس اللهو واللعب، وأن حياة غيرهم هى المقصورة على اللهو واللعب». إلى أن يقول - رحمه الله: «وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾ تعريض بالمشركين بأنهم صائرون إلى الآخرة، لكنها ليست لهم بخير».(١)

ولما كان انشغال الناس بالدنيا هو الغالب على غير المتقين - فضلا عن المشركين - وكانت هى السبب في غفلتهم عن الآخرة، وعدم الاستعداد للقاء

(١) الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٧/ ١٩٤-١٩٥).

الله تعالى مع كونها نعيماً عاجلاً زائلاً يلحقه التنغيص، كان الانشغال بها عن الاخرة من قلة العقل، وضعف الفهم.

ولذا ختم القرآن الكريم الآية بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٣٢﴾. يقول العلامة الطاهر بن عاشور: «والاستفهام عن عدم عقلهم مستعمل في التوبيخ إن كان خطاباً للمشركين، أو في التحذير إن كان خطاباً للمؤمنين».[1]

أما آية الأعراف: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٦٩﴾ فهذا التعقيب فيها قد جاء بعدما ذكر الله تعالى أولئك الذين أخذوا عرض الدنيا الزائل وانشغلوا به عن الباقى الدائم، مع قيام الحجة عليهم بدراسة ذلك وعلمه، مع ادعائهم الكاذب، وأمنيتهم الحمقى بأنهم سيغفر لهم. كيف أخذوا عرض هذا الأدنى وتركوا الحظ الباقى مع علو حسنه وشدة خيرته؟ لاشك أنهم لا يعقلون.

ذكر بعد ذلك قوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾. يقول العلامة الطاهر بن عاشور، في تفسيره «التحرير والتنوير»: «وفى قوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ كناية عن كونهم خسروا خير الآخرة بأخذهم عرض الدنيا بتلك الكيفية، لأن كون الدار الآخرة خيراً مما أخذوه يستلزم أن يكون ما أخذوه قد أفات عليهم خير الآخرة.

وفى جعل الآخرة خيراً للمتقين كناية عن كون الذين أخذوا عرض الدنيا بتلك الكيفية لم يكونوا من المتقين، لأن الكناية عن خسرانهم خير الآخرة مع إثبات كون خير الآخرة للمتقين تستلزم أن الذين أضاعوا خير الآخرة ليسوا من المتقين، وهذه معان كثيرة جمعها قوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ

---

(١) الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٧/ ١٩٥).

أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾»، وهذا من حد إعجاز العجيب».[1]

ونختم بهذا - وإن كان على سبيل الاختصار الشديد للضرورة - عاقبة التقوى في الآخرة.

obeikandl.com

(١) العلامة الطاهر بن عاشور «التحرير والتنوير»، (٩/ ١٦٤-١٦٥).

خاتمة

obeikandl.com

obeikandl.com

خاتمة

جاء ذكر التقوى بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم في أكثر من مائتي موضع، مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بها وأنها ملاك الأمر، ومن ثم وجدنا تنوع الأساليب التي جاءت فيها من أمر وتوصية بها، إلى ذكر صفات أهلها، إلى تبيين عاقبة أصحابها ومحبة الله لهم، ونجاتهم في الدنيا والآخرة إلى غير ذلك.

هذا ويمكن حصر أهم نتائج البحث فيما يلي:

*** مفهوم التقوى:**

فإن من ينظر إلى مفهوم التقوى في البحث يراه قد اتسع عما هو شائع ومألوف بين أهل العلم فضلاً عن غيرهم، ليشمل الإيمان وترك الشرك وامتثال الواجبات واجتناب المحرمات، والإتيان بالمستحبات وترك المكروهات وترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، مع اتقاء الشبهات والمبتدعات فكانت التقوى درجات، علاوة على تعريفات أخرى للتقوى يظهرها سياق الآيات كالخوف والإخلاص والتوبة وغيرها.

*** التقوى دعوة الرسل:**

وكانت النتيجة التالية للبحث أن التقوى دعوة الرسل، أي أن التقوى هي ترك الشرك والإيمان بالله، كما ذكر عن نوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب -عليهم السلام- كقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٦]، وهكذا عن بقية الرسل، ورأينا كذلك تدرج الرسل في دعوتهم إلى التقوى من الرفق إلى الإنكار مع ثباتهم على الدعوة في مختلف الأزمان والأحوال ولكل الطبقات، كما استخدم الرسل كافة الأساليب في حمل الناس على التقوى من الوعد والوعيد، والتحضيض والاعتبار بالأمم السابقة، والنظر في آيات الله الكونية وغير ذلك.

*** أساليب الدعوة إلى التقوى:**

وكان جديرًا في البحث تلك النتيجة المهمة، وهي أن القرآن الكريم ما ترك أسلوبًا قرأ عنه المرء ليحض الناس على تقوى الله إلا ذكره، وما ترك أحدًا إلا شمله بدعوة التقوى، فدعا الناس جميعًا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء: ١]، ودعا المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ١٨]، وفردًا: ﴿ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٥]، والنبي نفسه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١].

وكذلك في معمولات التقوى، رأينا كذلك تعدد الأساليب الحاملة على التقوى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ ﴾، ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾، ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ﴾.

بل زاد على ما سبق أن القرآن الكريم على ما لاحظه الباحث ورد فيه تذييل معظم أوامر التقوى بما يحمل عليها ويحض حضًا على الالتزام بها، كقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾، وقل أن يتكرر تذييل من هذه الأساليب، خاصة وقد رأينا متسقة تمام الاتساق مع بقية السياقات الواردة فيها، كل ذلك حملاً للناس على تقوى الله.

ثم يبين ذكر القرآن الكريم في مواطن كثيرة لعاقبة التقوى سواء كانت على دين المرء من زيادة إيمانه، وترقيه في درجاته إتيانه الفرقان، وفي الدنيا من نجاته وتيسير أوامره، وتفرغ همومه ورزقه.

وأما في الآخرة فتكفير السيئات والنجاة من النار، ودخول الجنة، وارتفاع أهل التقوى عن غيرهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [البقرة: ٢١٢]

مع نزول الملائكة لتثبيتهم في الدنيا وفي القبر وحين يخرجون من قبورهم.

والأعلى من ذلك محبة الله لهم وولايته إياهم ومعيته معهم مع إقبال أعمالهم كل ذلك وأنه لا يقبل إلا منهم للحث على تقواه -سبحانه.

التقوى ونواقض الإيمان مما يذكر هنا أن البحث انتهى إلى أن نواقض التقوى هي نواقض الإيمان أو أن نواقض الإيمان في مقابل التقوى، وأن الكافرين في مقابل المتقين، لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجع والمصادر

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. إتحاف الأكابر بتهذيب كتاب الكبائر، شمس الدين الذهبي، تحقيق وتهذيب وترتيب د. أسامة محمد عبد العظيم حمزة، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣. آثار التقوى في القرآن الكريم، راوية نور الدين عتر، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الشعب، القاهرة.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى المعروف بأبي السعود، دار الفكر، بيروت.

٦. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨. إعراب القرآن الكريم، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠. اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د. عفت محمد الشرقاوي، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٠م.

١١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٧٤م.
١٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
١٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
١٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.
١٥. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
١٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام.
١٧. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
١٨. التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٢٠. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. محمد أحمد يوسف القاسم، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

obeikandi.com

٢٢. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٣. التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٤. التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. محمد أديب الصالح، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٢٨. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

٢٩. الرحيق المختوم «بحث في السيرة النبوية»، صفي الدين المباركفوري، دار إحياء التراث.

٣٠. الرعاية لحقوق الله، أبو عبد الله الحارث المحاسبي، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة.

٣١. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي، مطعبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣٢. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اللخمي،

تحقيق محمد أمين قرة وآخرون، مكتبة الفارابي، دمشق.

٣٤. الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم، المكتبة القيمة.

٣٥. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٦. العبودية في الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الدار السلفية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٣٧. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار الكتب الإسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٨. الغاية القصوى في الكلام على آية التقوى، تج الدين عمر بن علي الفاكهاني، تحقيق محي الدين بيدق، مؤسسة ريان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤١. المعجم المفهرس لألفاظ القرين الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار ومطابع الشعب.

٤٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، تحقيق

obeikandi.com

عصام الصبابطي وغيره، دار الحديث، القاهرة.

٤٤. النكت والعيون، علي الماوردي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، تحقيق محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة.

٤٦. بدائع التفسير، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، تحقيق يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٨. بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى الحلبي، دمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٤٩. تأملات في القرآن الكريم، أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٠. تاريخ القرآن والتفسير، د. عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥١. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة الشمرلي، ١٩٧٧م.

٥٢. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٣. تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، عبد الكريم بزهوزان النيسابوري القشيري، تحقيق سعيد قطيفة، المكتبة التوفيقية.

٥٤. تفسير المراغي، محمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

٥٥. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وعلى هامشه تفسير غرائب القرين ورغائب الفرقان، الحسن النيسابوري.

٥٧. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.

٥٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة.

٥٩. ديوان ابن المعتز، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٦٠. ديوان الأعشى، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

٦١. ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

٦٢. ديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

٦٣. ديوان جرير، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

٦٤. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٦٥. رسالة إلى كل مسلم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، تحقيق د. أسامة محمد عبد العظيم، دار الفتح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٦. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الخير.

٦٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف

obeikandi.com

النووي، تحقيق حسان عبد المنان، المكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٦٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٧٢هـ/ ١٩٨٧م.

٧٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٧٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء السنة النبوية.

٧٣. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، رقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٥. شؤم المعصية وبركة التقوى، أحمد عز الدين البيانوني، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧٦. شرح الشفا، الملا علي القاري، دار الباز، مكة المكرمة، ودار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧. شرح العقيدة الطحاوية، الطحاوي، تحقيق جماعة من العلماء، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر.

٧٨. شرح ديوان الحاسمة، المرزوقي، نشره أحمد أمين عبد السلام هارون،

لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م.

٧٩. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٠. ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٨١. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٨٢. طبقات الأولياء، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الحصري المعروف بابن الملقن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨٣. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق محمود محمد الطنامي، مطعبة عيسى الحلبي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٨٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٨٥. فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية، القاهرة.

٨٦. فتح البيان في مقاصد القرآن،، صديق حسن خان، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

٨٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم صادق، طبعة دار الحديث، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٨٨. فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة

obeikandl.com

السابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٨٩. فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩١. قصة التفسير أحمد الشرباصي، المكتبة الثقافية، ١٩٦٢م.

٩٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٣. كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال، علاء الدين علي بن حسام الدين، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٩٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة.

٩٥. لطائف المعارف في مواسم العام من الوظائف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٩٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلامي ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، مكتبة ابن تيمية لإحياء كتب التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٩٨. محاسن التأويل في التفسير، جمال الدين القاسمي، تصحيح محمد فؤاد

obeikandi.com

عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
٩٩. مختار الصحاح، الرازي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
١٠٠. مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٩هـ.
١٠١. مدارج السالكين، بين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزيه، دار غحياء الكتب العربية، بيروت.
١٠٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أحمد بن محمود النسفي، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٤٤هـ.
١٠٣. مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٠٤. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٠٥. مغني اللبيب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير، دار إحياء الكتب العربية.
١٠٦. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار الكتب السلفية، الطبعة الرابعة، ١٣٩٩هـ.
١٠٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، مكتبة ابن تيمية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٠٨. نفثات صدر المكمد، وقرة عين المسعد، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
١٠٩. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون،

obeikandi.com

إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١١٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١١١. ولاية الله والطريق إليها، دراسة وتحقيق لكتاب فطر الولي على حديث الولي لمحمد بن علي الشوكاني، إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة.

obeikandi.com